# تاريخ نشأة أهل الكلام

تأليف

صقر بن نزهان بن عبيد الروقي

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

ربِّ يسِّر وأعن

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد.

فهذا كتاب جمعت فيه ما تيسّر عن هذه البذرة الخبيثة، والنبتة الخسيسة الوضيعة، التي بذرها الشيطان بمكره، وسقاها ورعاها بخبثه، ليلبّس على الناس دينهم، ويصدهم عن صراط الله المستقيم.

هذه الفرقة، التي ما تركت شيئاً من الكفر ما اعتقدته أو تفوهت أو عملت به، فوالله ما تركوا آية أو حديثاً في أصول الدين إلا وكذّبوا بها، فإن كان آية حرّفوا معناها إلى معنى لا تعرفه العرب من كلامها، وإن كان حديثاً كذّبوا به، وضربوه بالعلل، وإن كانت العلة التي ضربوه بها علّة سخيفة، ليست بطاعنة في صحة الخبر، وفي الوقت الذي يكذبون فيه بالأحاديث الصحاح نجدهم يحتجون بكل حديث موضوع، وضعه أسلافهم الكذبة، لتقرير عقائدهم الوسخة، يحدوهم إلى ذلك حادي الشيطان، ويزين لهم أعمالهم القبيحة، وأقوالهم الخبيثة، ويربيهم على طباعه الخسيسة.

ففي سبيل دينهم الذي لقنهم إيّاه إمامهم إبليس، يجيزون كلّ محرّم، ويبيحون كل مُجرَّم، فالكذب وسيلتهم، والحيلة والخديعة والنصب مطيّتهم، لا يأبهون لو كذبوا على الله وعلى رسوله، لأنهم إنما يريدون بذلك حاجة في أنفسهم، والله من ورائهم محيط.

إنهم المتكلمون، بفرقهم المتعدد، وهم: الجهمية والمعتزلة والكلّابيّة والأشاعرة والماتريدية، أخبث فرق نشأت في الإسلام، وأبعدها عن سراط الله المستقيم، ونهجه

القويم، بيضة الشيطان، وأفراخ ملاحدة فلاسفة الإغريق، وأذناب اليهود والنصارى، تعرف ذلك من عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم ومودتهم لهم.

هذه الفرقة التي تلبّست بالإسلام نفاقاً، وكادت له في الباطن، حرباً له وعداء، يعينهم على ذلك، فرقة من الجهلة والحمقى، من المنتسبين إلى المدرسة السلفية، يهوّنون من خطرهم، ويبعّدون من عداوتهم، ويقرّبون من مودتهم، يلقّبون كهنتهم بالأئمة والحفاظ والعلماء، وكذبوا، بل هم أئمة في الكفر، وحفاظ لإلحاد والشرك، وعلماء في الباطل والزندقة، ويزعمون كاذبين، أنهم خدموا الإسلام والسنة، بما ألّفوه من تفاسير وشروحات، وهم يعلمون أن في بطون تلك الكتب، الكفر الأكبر، وفيها تكفيرهم وسبهم وشتمهم، وإنما يستمرون في توقيرهم ونشر كتبهم، إما جهلاً من بعضهم، وإما مكراً وخبثاً من بعضهم الأخر، لأنه يتحصل بموقفه هذا على منافع دنيوية، فلو سجد المتكلمون للأصنام، لربما لم يتغيّر موقفه، ولم يتبدّل منهجه!

فأردت بهذا الكتاب، أن أفضح من المتكلمين، ما يتستر أدعياء السلفية عليه، لكي لا يظهر لعامتهم، فيعرفوا حقيقة أئمتهم الملاحدة، الذين هم لهم تبع، فالله اسأل أن يكبتهم وكيبت أئمتهم المتكلمين، ويخزيهم، ويكفي الإسلام والمسلمين شرهم، وهو فاعل إن شاء الله تعالى، بما بلغنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم، من أنه لا بد أن تبقى طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة.

والحمد لله رب العالمين.

## أول من خاض في الكلام والفلسفة

أول من ذكر أنه خاض في الكلام والفلسفة، وأنكر صفات الباري سبحانه وتعالى، من المنتسبين إلى الإسلام، هو الجعد بن درهم.

قال الذهبي في السِيَر: "مؤدب مروان الحمار، هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. قال المدائني: كان زنديقا. وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يدا، وأن له عينا ما قلنا ذلك. ثم لم يلبث الجعد أن صلب". اهـ

قلت: مروان الحمار، هو أخر خلفاء بني أميّة.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: "مؤدب مروان بن محمد الحمار، ولهذا يقال له: مروان الجعدي. كان الجعد أول من تفوه بأن الله لا يتكلم، وقد هرب من الشام. ويقال: إن الجهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن، وأصله من حران. فبلغنا عن عقيل بن معقل بن منبه قال: وقف الجعد على وهب بن منبه، فجعل يسأله عن الصفة، فقال: يا جعد، ويلك! أنقص من المسألة، إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يدا ما قلنا ذلك، وأن له عينا ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب. قال أبو الحسن المدائني: كان الجعد زنديقا. ويروى أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس يوم الأضحى بواسط، وقال: ضحوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، ثم نزل فذبحه. وهذه قصة مشهورة رواها قتيبة بن سعيد، والحسن بن الصباح، وعثمان بن سعيد الدارمي، عن ابن أبي سفيان المعمري". اهـ

قلت: لم يروه قتيبة بن سعيد عن المعمري، بل سمعه من القاسم بن محمد.

قال علي بن عساكر الأشعري الجهمي، في كتابه تاريخ دمشق: "أصله من خراسان، ويقال إنه من موالي بني مروان، سكن الجعد دمشق، كانت له بها دار بالقرب من القلانسيين إلى جانب الكنيسة، أول من قال بخلق القرآن. كان يسكن دمشق، وله بها دار، وهو الذي ينسب إليه مروان ابن محمد، لأنه كان معلمه. وقيل إنه كان من أهل حران، هو الذي قتله خالد بن عبد الله القسري بالكوفة يوم الأضحى، وكان أول من أظهر القول بخلق القرآن في أمة محمد، فطلبه بنو أمية فهرب من دمشق وسكن الكوفة، ومنه تعلم الجهم بن صفوان بالكوفة خلق القرآن، وهو الذي تنسب الجهمية إليه، وقتله سلم بن أحوز بأصبهان. سئل أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الغسيلي: من أين كان جهم؟ قال: من ترمذ، وكان يذهب في بدء أمره، ثم صار صاحب جيش الحارث بن سريج بمرو، فقتله سلم بن أحوز في المعركة وقبره بمرو. وسئل: ممن أخذ ابن أبي دؤاد؟ فقال: من بشر المريسي، وبشر المريسي أخذه من جهم بن صفوان، وأخذه جهم من الجعد بن درهم، وأخذه جعد بن درهم من أبان بن سمعان، وأخذه أبان من طالوت ابن أخت لبيد وختنه، وأخذه طالوت من لبيد بن أعصم، اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم. وكان لبيد يقرأ القرآن، وكان يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت، وكان طالوت زنديقا وأفشى الزندقة، ثم أظهره جعد بن درهم، فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة، وكان خالد واليا عليها، أتي به في الوثاق حتى صلى وخطب، ثم قال في آخر خطبته: انصرفوا وضحوا تقبل الله منا ومنكم، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول ما كلم الله موسى تكليما، ولا اتخذ إبراهيم خليلا، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا، ثم نزل وحز رأسه بيده بالسكين". اهـ

قلت: وابن أبي دؤاد هو أحمد بن أبي دؤاد، وزير المأمون، الخليفة العباسي، وهذا يدل على أن الجعد بن درهم لما قدم دمشق، نزل في حيٍّ للنصارى، بدلالة نزوله بالقرب من كنيستهم، ولعله كان تأثر بجيرانه من النصارى، حيث أن الفلسفة اليونانية قد أثرت في النصرانية ومن قبلها اليهودية والصابئة، أثراً بالغا، وكما هو معلوم، فإن التعطيل دين اليهود والصابئة والنصارى، أخذه اليهود والصابئة والنصارى عن فلاسفة الإغريق، وإن كانت كتبهم ظاهرها القول بإثبات الصفات لله عزّ وجلّ. والفلاسفة هم أساس الداء، ومنبع البلاء. والعجيب أن علي بن عساكر ينقل هذا الخبر في الجعد وهو على دينه، وإنما يُظهر البراءة منه، لأن بينهما اختلاف في مسائل يسيرة في باب الصفات، ومن هنا استحلّ ذمّه!

وقال الإمام البخاري في التاريخ الكبير: قال لنا قتيبة، حدثنا القاسم بن محمد قال: حدثني عبدالرحمن بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: "شهدت خالد بن عبد الله القسري يخطب يوم النحر، فقال: من كان منكم يريد أن يضحي فلينطلق فليضح، فبارك الله في أضحيته، فإن مضح بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يكلم موسى تكليما، ولم يتخذ إبراهيم خليلا، سبحانه عمّا يقول الجعد علواً كبيرا ثم نزل فذبحه".

وهذا الخبر وإن لم يصح من جهة السند، إلا أن شهرته في زمانهم، تغني عن سنده، وبما أنه لا يوجد خبر يطعن في صحة هذا الخبر، فلا يوجد خبر أخر يعارضه، فهو كما جاء.

## تبني الجهم بن صفوان لمقالة الجعد بن درهم والدعوة إليها

لما هلك الجعد بن درهم، تبنى مقالته الآثمة، الجهم بن صفوان الراسبي، مولاهم، السمرقندي.

قال البخاري في التاريخ الكبير وخلق أفعال العباد: "قال قتيبة – بن سعيد – بلغني أن جهما كَانَ يأخذ هذا الكلام من جعد بْن درهم". اهـ

قال عبدالله بن حنبل في السنّة: حدثني إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، سمعت يزيد بن هارون، يقول: لعن الله الجهم، ومن قال بقوله كان كافرا جاحدا ترك الصلاة أربعين يوما يزعم أنه يرتاد دينا وذلك أنه شك في الإسلام. قال يزيد: قتله سلم بن أحوز على هذا القول. حدثني محمد بن إسحاق الصاغاني، حدثني يحيى بن أيوب، سمعت أبا نعيم البلخي شجاع بن أبي نصر قال: سمعت رجلا، من أصحاب جهم: كان يقول بقوله وكان خاصا به ثم تركه وجعل يهتف بكفره، قال: رأيت جهما يوما افتتح سورة طه فلما أتى على هذه الآية {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥] قال: لو وجدت السبيل إلى حكها لحككتها، قال: ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال: ما كان أظرف محمدا حين قالها، قال: ثم افتتح سورة القصص فلما أتى على ذكر موسى صلوات الله عليه جمع يديه ورجليه ثم دفع المصحف ثم قال: أي شيء هذا، ذكره هاهنا فلم يتم ذكره، وذكره فلم يتم ذكره. حدثت عن أحمد بن نصر، عن علي بن عاصم بن علي، قال: ناظرت جهما فلم يثبت أن في السماء ربا جل ربنا عز وجل وتقدس. اهـ

وقال الذهبي في السِيَر: الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي. المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة. كان ذا أدب ونظر وذكاء وفكر وجدال ومراء، وكان كاتبا للأمير الحارث بن سريج التميمي الذي توثب على عامل خراسان نصر بن سيار، وكان الجهم ينكر صفات الرب عز وجل وينزهه بزعمه عن الصفات كلها ويقول بخلق القرآن، ويزعم أن الله ليس على العرش بل في كل مكان، فقيل: كان يبطن الزندقة، والله أعلم بحقيقته. وكان هو ومقاتل بن سليمان المفسر بخراسان طرفي نقيض، هذا يبالغ في النفي والتعطيل، ومقاتل يسرف في الإثبات، والتجسيم. ويبدو أن حماس الجهم بن صفوان، فاق حماس معلمه الجعد بن درهم في نشر هذه الفلسفة الإلحادية، وكثر أتباعه ومريديه، حتى عرفوا به، ونسبوا إليه، فقيل لهم: الجهمية. وقال أبو عبد الله بن منده: حدثنا أحمد بن الحسن الأصبهاني بنيسابور، قال: حدثنا عبد الله بن إسحاق النهاوندي قال: سمعت أحمد بن مهدي بن يزيد القافلاني قال: قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله هؤلاء اللفظية فذكر القصة، ثم قال أحمد بن حنبل: قال لنا علي بن عاصم: ذهبت إلى محمد بن سوقة فقال: ها هنا رجل قد بلغني أنه لم يصل، فمررت معه إليه فقال: يا جهم ما هذا؟ بلغني أنك لا تصلي! قال: نعم. قال: مذ كم؟ قال: مذ تسعة وثلاثين يوما، واليوم أربعين. قال: فلم لا تصلي؟ قال: حتى يتبين لي لمن أصلي، قال: فجهد به ابن سوقة أن يرجع أو أن يتوب أو يقلع، فلم يفعل، فذهب إلى الوالي فأخذه فضرب عنقه وصلبه، ثم قال لنا أحمد بن حنبل: لا يترك الله من يصلي ويصوم له يدع الصلاة عامدا أربعين يوما إلا ويضربه بقارعة. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: حدثني محمد بن مسلم قال: حدثني عبد العزيز بن منيب قال: حدثنا موسى بن حزام الترمذي قال: حدثنا الأصمعي، عن المعتمر، عن خلاد الطفاوي قال: كان سلم بن أحوز على شرطة

نصر بن سيار فقتل جهم بن صفوان لأنه أنكر أن الله كلم موسى. وقال عمر بن مدرك القاص: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: ظهر عندنا جهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة فرأيته في مسجد بلخ يقول بتعطيل الله عن عرشه وأن العرش منه خال. قلت: سلم بن أحوز الذي قتل الجهم قتله أبو مسلم صاحب الدعوة في حدود الثلاثين ومائة أيضا. وقال أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن هاشم الرملي قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب قال: ترك جهم الصلاة أربعين يوما، وكان فيمن خرج مع الحارث بن سريج. وروى يحيى بن شبيل أنه كان جالسا مع مقاتل بن سليمان، وعباد بن كثير إذ جاء شاب فقال: ما تقول في قوله تعالى {كل شيء هالك إلا وجهه} قال مقاتل: هذا جهمي ويحك إن جهما والله ما حج البيت ولا جالس العلماء إنما كان رجلا قد أعطي لسانا. قال أبو محمد بن حزم: ومن فضائح الجهمية قولهم بأن علم الله محدث مخلوق وأن الله لم يكن يعلم شيئا حتى أحدث لنفسه علما وكذا قولهم في القدرة. وروى إبراهيم بن عمر الكوفي، عن أبي يحيى الحماني قال: جهم كافر بالله، وقيل: إن الجهم تاب عن مقالته ورجع. قال أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله قال: حدثني أبي قال: قال إبراهيم بن طهمان: حدثني من لا أتهم غير واحد أن جهما رجع عن قوله، ونزع عنه، وتاب إلى الله منه. وقال البخاري في أفعال العباد: قال ضمرة، عن ابن شوذب قال: ترك جهم الصلاة أربعين يوما على وجه الشك فخاصمه بعض السمنية فشك وأقام أربعين يوما لا يصلي. قال ضمرة: قد رأى ابن شوذب جهما. وقال عبد العزيز بن الماجشون: كلام جهم صفة بلا معنى وبناء بلا أساس. قلت: فكان الناس في عافية وسلامة فطرة حتى نبغ جهم فتكلم في الباري تعالى وفي صفاته بخلاف ما أتت به الرسل وأنزلت به الكتب، نسأل الله السلامة في الدين.

قلت: وقول الذهبي عن الجهم بأنه كان ذا أدب ونظر وذكاء وفكر، فيه نظر، فلم يسبق أحد الذهبي في نعت الجهم بهذه الأوصاف، ولا يوجد للجهم كتاب يعرف من خلاله أدبه أو نظره أو ذكاءه وفكره، بل ما روي عنه من روايات تدل على خلاف ذلك تماماً، تدل على سوء أدبه وقصر نظره وقلة عقله وفقهه، ولكن لا أستغرب أن يكيل له الذهبي مثل هذه المدائح، فهو دائماً ما يبالغ في الثناء على كل مشهور ومذكور، وإن كان على خلاف ما أثنى عليه به، حتى يخيّل إليك، أن الذهبي لو أثنى على إبليس لأثنى عليه!

ومن العجائب أيضاً، هو وقيعة ابن حزم في الجهم بن صفوان، مع أن ابن حزم على مذهبه، إلا أنه يخالفه في مسائل يسيرة، ولذلك استحلّ الوقيعة فيه!

وقال علي بن عساكر فبي تاريخ دمشق: محمد بن صالح بن معاوية أبي عبيد الله ابن عبد الله بن يسار الأشعري أخو معاوية بن صالح حكى عنه علي بن مبشر بن خالد الهمداني أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم حدثنا أبو بكر الخطيب أخبرني علي بن أبي علي البصري أنبأنا عبد الرحمن بن محمد السمرقندي الحافظ في كتابه إلينا حدثني عبد الله ابن محمد بن إبراهيم أبو محمد الدامغاني الاسفندياري بدامغان حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نومرد الدامغاني حدثنا أبو زرعة يعني عبيد الله بن عبد الكريم الرازي حدثنا علي بن مبشر بن خالد الهمداني حدثني محمد بن صالح يعني ابن معاوية بن عبيد الله الأشعري عن أبيه قال قرأت في دواوين هشام بن عبد الملك إلى عامله بخراسان نصر بن سيار أما بعد فقد نجم قبلك رجل من الدهرية من الزنادقة يقال له الجهم بن صفوان فإن ظفرت به فاقتله وإلا فادسس إليه الرجال غيلة ليقتلوه. اهـ

قلت: وكما قدّمت، فإن علي بن عساكر على مذهب الجهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم، وإنما استحل الوقوع فيهما، لأنه يخالفهم في بعض المسائل.

## تأثر المعتزلة بمذهب الجهمية

نشأت فرقة المعتزلة، كفرقة من فرق الخوارج، في الوقت الذي نشأت فيه فرقة الجهمية، على يد واصل بن عطاء الغزال البصري، المتوفى سنة ١٣٠ للهجرة، وقيل: سنة ١٣١ للهجرة.

وكان واصل تلميذاً للحسن البصري، التابعي الجليل، فحصل بينه وبين الحسن، خلاف في مرتكب الكبيرة، حيث قرّر واصل أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، في الدنيا تجري عليه أحكام المسلمين، وفي الأخرة تجري عليه أحكام الكافرين، فهو خالد مخلد في النار.

وبسبب هذا الخلاف اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري.

واعتزل معه رجل أخر وهو: عمرو بن عبيد بن باب، وجده باب من سبي فارس، مولى لبني تميم، وعبيد أبو عمرو، كان نسّاجاً، ثم تحول شرطيّاً للحجاج، مات عمرو بن عبيد بطريق مكة سنة ١٤٣هـ وقيل: سنة ١٤٤هـ

فقيل لهم: المعتزلة، وصار هذا الاسم وسماً عليهم إلى اليوم.

فأصل المعتزلة أنهم فرقة من فرق الخوارج.

فأما واصل بن عطاء، فلم يؤثر عنه إلا أنه كان يقول بالمنزلة بين المنزلتين، أما عمرو بن عبيد فقد أضاف إلى بدعته بدعة أخرى، وهي إنكاره للقدر، وإنكار أن الله يعلم بالوقائع قبل وقوعها، وهذا إلحاد، إلا أنه لم يؤثر عنهما أنهما احتكا بالجهمية، أو تقلدا مقالتهم في انكار صفات الله تعالى.

وإنما اشتهر المعتزلة بالتجهم بعد ذلك، بحيث امتزج الاعتزال بمذهب الجهمية امتزاجاً كُليّاً، حتى صار كل معتزلي جهمي، وكل جهمي معتزلي، وأصبح اسم المعتزلة مرادفاً لمسمى الجهمية، ومسمى أهل الكلام والفلسفة.

فاجتمع في المعتزلة ثلاث ضلالات:

أولها: القول بالمنزلة بين المنزلتين، وتكذيبهم لما ورد في القرآن، من أنه لا يخلد في النار إلا المشركين.

وثانيها: انكار القدر، وتكذيبهم لما ورد في القرآن من إثبات القدر، وأن الله قد أحاط علمه بكل شيء، وأن الله قدّر مقادير الخلائق قبل خلقها.

وثالثها: انكار صفات الباري سبحانه وتعالى، وتحريف آيات القرآن التي وردت بإثبات الصفات والتكذيب بالسنّة.

ولذلك فإننا سوف نستخدم مسمى المعتزلة، للدلالة على الجهمية.

## عقيدة المعتزلة في صفات الله تعالى

تتضمن عقيدة المعتزلة في صفات الله تعالى، أن الله تعالى لا يتصف بأي صفة، فليس بحيّ ولا قوي ولا قادر ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا مريد ولا شاءٍ ولا عليم، وليس له وجه ولا عينان ولا يدان ولا أصابع ولا حِقو ولا قدمان، ولا غير ذلك.

وأن جميع صفات الله تعالى التي وصف نفسها بها في كتابه، أو وصفه بها نبيّه في سنّته، مخلوقات لله تعالى كسائر مخلوقاته، وأن نسبة هذه الأوصاف إلى الله تعالى، هي كنسبة باقي المخلوقات لله تعالى، كما نقول: أرض الله، وناقة الله، ونحو ذلك!

فلا يفرّقون في اللغة بين ما هو صفة للشيء، وما هو ملكٌ للشيء، فجعلوا الكل عندهم مملوكات لله تعالى!

فإذا سئل عن صفات الله تعالى قال: هو حيٌّ بلا حياة، قوي بلا قوة قدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصر متكلم بلا كلام عليم بلا علم مريد بلا إرادة شاءٍ بلا مشيئة.. إلخ.

كل صفة يثبتونها وينفونها في نفس الوقت، على مثل ما قدمت.

وكل صفة ينفونها وينفون ضدها، فيقولون الله ليس بسميع وليس بأصم وليس ببصير وليس بأعمى وليس بمتكلم وليس بأخرس وليس بمتحرك وليس بعاجز عن الحركة، وهكذا.

لأن الله تعالى عندهم لا يوصف إلا بصفات السلوب فقط.

وبما أنهم يزعمون أن كلام الله وعلمه مخلوقان، فبالتالي يعتقدون أن القرآن الكريم مخلوق، لأن القرآن هو كلام الله وعلمه، فإذا كانا مخلوقان، فهو بالتالي مخلوق.

كما يتأولون صفة اليد في القرآن والسنة، بالنعمة أو بالقوّة، ويتأولون صفتي السمع والبصر بالعلم. فيخلطون بين معاني الكلمات خلطاً شنيعاً. فإذا لم يجدوا للكلمة معنىً لا يتعارض مع عقيدتهم، ابتدعوا للكلمة معنىً من عندهم، كتأويلهم للاستواء بالاستيلاء والغلبة والقهر! مع أن هذا ليس من معاني كلمة استوى في لغة العرب، إنما هو معنىً وضعه المعتزلة، قال أبو العباس ثعلب في مجالس ثعلب: "وقالت المعتزلة استوى استولى". ليؤكد على أن تأويل استوى باستولى من خاص قول المعتزلة، ومن وضعهم.

كما قرّروا أن الله تعالى بلا زمان ولا مكان.

ثم اختلفوا في مكان الله تعالى، فقالت طائفة منهم: هو في كلّ مكان. وقالت طائفة أخرى: لا يعرف لله مكان، فليس داخل العالم ولا خارجه ولا متّصل به ولا منفصل عنه ولا يمينه ولا شماله ولا فوقه ولا تحته، وباختصار ليس لله عندهم وجود حقيقي.

ولذلك تقرّر هاتين الطائفتين، بأن الله ليس لذاته حدّ.

وبالتالي ينكرون أن لله تعالى جهة وحيّزاً، وبالتالي ينكرون علوّه بذاته على خلقه، ويتأولون علوّه في القرآن بعلو القهر والغلبة والسلطان فقط!

ومن هنا نشأت عقيدة الحلول والاتحاد، أي: أن الله تعالى وتقدس حال ومتّحدٌ في خلقه، لأنه ما لا حدّ له، سوف يحل ويتحد في كل شيء.

وعلى أنقاض عقيدة الحلول والاتحاد، نشأت عقيدة وحدة الوجود أو ما يسمى بوحدة الشهود، أي: أن الله والوجود المشاهد، شيء واحد، غير منفصل، فالخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، فلا يوجد في الوجود إلّا الله تعالى وتقدس، وهي العقيدة التي يتبناها أكثر الطرق الصوفية المنتسبة زوراً إلى الإسلام، والإسلام منهم براء.

كما يعتقدون بأن الله تعالى لا تعتريه الانفعالات النفسيّة، أي: لا يشعر ولا يحسّ، فلا يغضب ولا يرضى، وليست الرحمة من صفاته، وغضبه ورضاه ورحمته يفسرونها بالإرادة، فيقولون: غضب الله معناه: إرادة العذاب، ورحمة الله معناه: إرادة النعيم. وهكذا.

وأنه لا يفعل شيئاً وليس الفعل من صفاته. بل الأفعال خلق من مخلوقاته وإن أضيفت إليه.

فكيف خلق الله الخلق حسب معتقد المعتزلة؟ يقولون: بأنه فاض منه فيض تخلّقت منه كلمة كن، وأعطى كلمة كن القوة والقدرة على خلق جميع المخلوقات، أو يقولون: بأن جميع المخلوقات تخلّقت بفيض فاض منه، دون الحاجة إلى الوسيط، وهي كلمة كنّ.

وبما أنه لا يفعل شيئاً وليس الفعل من صفاته، فبالتالي هو لا يتحرّك، فإذا قيل لهم: فهل هو ساكن؟ قالوا: وليس بساكن، فعندهم الله لا يتحرك وليس بساكن، كما جرت عليه عادتهم في نفي الصفة وضدّها، وهذه كما قدّمنا صفة العدم!

ويروى أن الجهم بن صفوان كان يحدّث الناس ويدعوهم إلى مقالته، فأتى عليه أعرابي والناس مجتمعون يسمعون من الجهم، فاستمع الأعرابي إلى مقالته، فأنكر ما يقول، وأنشد قائلاً:

ألا إنَّ جهماً كافرٌ بان كُفرُهُ   ومَن قال يومًا قول جَهمٍ فقد كفرْ

لقد جُنَّ جَهمٌ إذ يُسمِّي إلهُهُ   سميعًا بلا سمعٍ بصيرًا بِلا بَصَر

عليما بلا عِلمٍ رضِيًّا بلا رضى   لطيفًا بلا لُطفٍ خبيرًا بلا خَبر

أيُرضيكَ أن لو قال يا جهمُ قائلٌ   أبوك امرؤٌ حرٌّ خطيرٌ بلا خَطر

مليحٌ بلا مُلحٍ بهِيٌّ بلا بهى   طويلٌ بلا طولٍ يُخالفُه القِصَر

حليمٌ بلا حلمٍ وفِيٌّ بلا وفى   فبالعقلِ موصوفٌ وبالجهلِ مُشتَهَر

جوادٌ بلا جودٍ قويٌّ بلا قوى   كبيرٌ بلا كُبرٍ صغيرٌ بلاصِغَر

أمدحًا تُراهُ أم هِجاءً وسُبةً   وهزءًا كفاك الله يا أحمقَ البَشَر

فإنَّكَ شيطانٌ بُعِثتَ لِأُمَّةٍ   تُصَيِّرُهم عما قريبٍ إلى سَقَر

فلما سمع الناس هذه الأبيات رجع كثيرٌ منهم عن مقالته.

رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

## محاولة الجمع بين مذهب المعتزلة ومذهب أهل الحديث

ثم برزت طائفة من المبتدعة، حاولت الجمع بين مذهب المعتزلة الجهميّة ومذهب أهل الحديث، فأنتجت ديناً مشوهاً، وهم الكُلَّابية، نسبة إلى عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب القطان البصري المتوفى سنة ٢٤١هـ.

وملخص عقيدته أنه قسَّم صفات الله تعالى إلى قسمين: ذاتية، وفعلية اختيارية.

والذاتية هي: الحياة والنفس والوجه والعينان واليدان والساقان والقدمان، والسمع والبصر والقدرة والإرادة والمشيئة، وما تتضمنه الصفات النفسية من صفات: كالرضى والغضب والسخط والرحمة، وأن الله عال على خلقه علواً حقيقياً، أي: أنه أثبت لله الجهة والحيّز والانفصال عن خلقه.

وكان يقول: بأن الله حيّ بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، قدير بقدرة، مريد بإرادة، شاءٍ بمشيئة، رحيم برحمة.

فخالف المعتزلة في الإقرار بهذه الصفات، كون المعتزلة ينكرونها، ويزعمون أنها مخلوقات لله.

وأما الصفات الفعلية الاختيارية، فهي الصفات التي تقع بمشيئة الله تعالى، كالحركة والكلام بصوت والضحك والخلق والإحياء والإماتة والاستواء على العرش ونحو ذلك، فزعم أن كل صفة تقع بمشيئة الله، فهي مخلوقة!

فوافق المعتزلة، في أن هذه الصفات مخلوقات لله تعالى، وليس صفاتٍ له.

ولا تسأل ابن كلّاب عن الدليل على ما ذكر، لأنه ما من دليل شرعي على ذلك، ولا حتى عقلي، بل هو رأيٌ رآه، واعتباط اعتبطه، على غير هدى من الله تعالى ولا رسوله ولا حجّة عقليّة مقنعة.

ويقول: بأن الله متكلم بكلام، ولكنه زعم أن الكلام نفسي، أي: أن الله لا يتكلم بصوت، لأن الكلام بصوت فعل، والأفعال من الصفات الاختيارية، فقسّم الكلام إلى قسمين: نفسي ولفظي، وهو تقسيم لا تعرفه العرب من كلامها، فالكلام عند العرب لا يكون إلا لفظاً، وأما ما يختلج في النفس، فيطلقون عليه: حديث نفس، ولا يسمونه كلام.

ولذلك لما نوقش في القرآن قال: القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة، وبناء على ذلك زعم ابن كلاب أن الله تعالى لا يستطيع التكلم بمشيئته، وهو يريد بذلك الكلام النفسي حسب زعمه، وأن كلامه هو معنى واحد قديم قائم بذاته تعالى، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراةً، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وزعم أيضاً أن القرآن المنزل ليس هو بحرف ولا بصوت، وليس هو كلام الله حقيقة، وإنما هو حكاية وعبارة عنه لا عينه.

وزعمه هذا لم يسبقه إليه أحد من المسلمين، وليس عليه دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أخذ ذلك عن رجل من فلاسفة النصارى، يدعى: يوحنا الدمشقي (توفي ١٣٢هـ) أو لنقل بأن ابن كلاب ويوحنا كلاهما استقى قوله من كلام الفلاسفة الملاحدة.

إلّا أن أقدم من عرف عنه هذا التقسيم، هو يوحنّا الدمشقي، وكان كاهناً من كهنة النصارى "انظروا كتاب: يوحنّا الدمشقي آراءه اللاهوتيّة ومسائل علم الكلام، حقّق سيرته وعلّق عليها: الدكتور كمال اليازجي".

## نشأة المدرستين: الأشعرية والماتريدية

ثم برزت من مدرسة الكُلّابيّة، مدرستان أخريتان: أحدهما الأشعرية نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤ للهجرة، وكان معتزلياً، ثم رجع عنهم، وتقلد مذهب ابن كلاب، إلا أنه أضاف إليه الكثير من أراءه واجتهاداته الشخصية، وبذلك انشأ لنفسه مذهباً جديداً وكان له أتباع ومقلدين، نشروا مذهبه في بلاد العرب والبربر، ويعرفون بالأشاعرة.

والأخرى الماتريدية، نسبة إلى أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الأنصاري، المتوفى سنة ٣٣٣ للهجرة، وهو مثل الأشعري، نقل مذهب ابن كلاب مع شيء من أراءه واجتهاداته، وكان له على ذلك مقلدين وأتباع نشروا مذهبه في بلاد فارس وخرسان وبخارى والترك والسند والهند، ويعرفون بالماتريدية.

وقد خالف أبو منصورالماتريدي الكلابية والأشعرية في إثبات علو الله بذاته على عرشه، فزعم أن الله تعالى بلا مكان مطلقاً، أي: أن الله تعالى ليس في جهة العلو ولا هو في كل مكان.

وقد رجع الأشعرية إلى قول الماتريدي في نفي علو الله، وخالفوا شيخهم أبا الحسن الأشعري، وكان أول من أخذ بقول الماتريدي في نفي العلو من الأشاعرة هو أبو بكر بن فورك الأشعري المتوفة سنة ٤٠٦ للهجرة.

ثم إن الأشاعرة والماتريدية، رجعوا عن الإقرار بالصفات الذاتية، فعطّلوها، سوى سبع صفات فقط، سوف يأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

قلت: وجميع هذه الآراء، لا توجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تؤثر عن صحابي أو تابعي، إنما هي كما يزعمون حجج عقلية، وما هي والله إلا ظنون وأوهام ﴿كَسَرَابِ بِقِيعَة يَحسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـًٔا﴾ [النور ٣٩].

ومع وجود فوارق طفيفة بين المذهب الماتريدي والمذهب الأشعري، إلا أن هذه الفوارق، دفعت الفرقتين إلى الشتاحن والتباغض، حتى كفّر بعضهما البعض، إلا أن المذهبان أتحدا في النهاية، وأصبحا وكأنهما مذهبٌ واحد، ففي بلاد الأعاجم يعرفون بالماتريدية، وفي بلاد العرب والبربر والسودان، يعرفون بالأشعرية، لذلك سوف نتحدث عن الأشعرية، للدلالة على اعتقاد الطائفتين.

## معتقد الأشاعرة في صفات الله تعالى

استقرّ الأشاعرة على موافقة المعتزلة في كثيرٍ من معتقداتهم، إلّا أنهم يخالفونهم في إثبات بعض الصفات.

فالأشاعرة يثبتون سبع صفات، وهي: الحياة، العلم، الإرادة، القدرة، الكلام، السمع والبصر.

كما يثبتون لوازم هذه الصفات، وهي: أن الله حيٌّ بحياة، ويلزم من ذلك إثبات أن الله موجود، عليم بعلم، مريد بإرادة، قدير بقدرة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر.

كما أنهم يختارون أن الله تعالى لا يعرف له مكان، وهو أحد قولي المعتزلة، فليس هو داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا يمينه ولا شماله ولا فوقه ولا تحته.

وهم لا يثبتون هذه الصفات لأن الأدلة الشرعية من القرآن والسنة تدلّ على إثباتها، بل أثبتوها بزعمهم أن الحجج العقلية "زعموا" تدل على وجوب إثباتها!

ولا عجب في ذلك، فهم أصلا لا يرون في القرآن العظيم ولا السنة النبوية المطهرة حجة ولا هدى ولا تفيد عندهم العلم اليقيني، ولا تعطي الطمأنينة واليقين، بل تفيد الجهل والحيرة والشك!

ومع ذلك فهم يكذبون، لأنهم في الحقيقة لا يثبتون من هذه السبع صفات سوى ثلاث صفات:

الأولى: العلم، وهذه يثبتون كمالها لله تعالى، وهم في ذلك لا يتبعون قرآناً ولا سنة، بل يتبعون قول أئمتهم ملاحدة الإغريق، الذين يسمون الله "العقل الأول" والذي يعتبره الفلاسفة قد أحاط بكل شيء علماً، ومنه تستمد الكائنات علمها!

الثانية: الإرادة، وهم يثبتون أنه مريد لكل ما يريده إلا في أمرين: العلم والكلام النفسي، فهاتان الصفتان بزعمهم تقع بغير إرادة منه، فإرادة الله عندهم ليست كاملة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا!

الثالثة: القدرة، وأما هذه الصفة، فهم فيها على قسمين:

قسم يزعمون أن الله تعالى لا يقدر إلا على أمرين:

الأول: خلق كلمة كنّ، وهو عندهم يخلقها بغير فعل أو حركة منه، بل يعتقدون أن كلمة كن انبعثت من كلام الله – الذي هو عندهم ليس صوتاً ولا حروفاً، ولا يتعاقب .. الخ هذا الهذيان – بطريقة هم يجهلونها، وبإرادة من الله تعالى.

والثاني: منح كلمة كنّ، القدرة المطلقة على الخلق والتدبير.

فالله تعالى وتقدس عن قولهم، لا يقدر إلا على خلق كلمة كنّ، ومنح كلمة كنّ القدرة، التي لا يمتلك منها هو – حسب زعمهم الكاذب – سوى أن يمنحها !

فهو لا يخلق ولا يدبر، بل كلمة كنّ هي التي تخلق وتدبر بإرادة منه.

والقسم الثاني وهم الذين يقولون بأن الله يخلق الخلق بدون وسيط "وهي كلمة كن" ولكن عندما يريد أن يخلق لا يفعل شيئاً، بل يفيض منه فيض يتخلق منه خلقه بحسب إرادته، وهذا عين قول الفلاسفة الإغريق، وهؤلاء مثل القسم الأول، يثبتون قدرة ناقصة لله تعالى فهو عاجز تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، فهو لا يرى ولا يسمع

ولا يتكلم بصوت ولا يتحرك، وهو مفتقر دائما لمخلوقاته كما يزعمون. ولا يختلفون مع القسم الأول إلا حول تعريفهم لكمة كن.

وأما باقي الصفات السبع فهم في الحقيقة لا يثبتونها.

فالكلام لا يثبتونه، حيث يزعمون أن كلام الله ليس سوى حديث نفس، وحديث النفس عند العرب ليس كلاماً، ولا يكون الكلام كلاماً حتى يكون بصوت، ثم هو بلا حرف، ولا يتعاقب، بل هو أشبه ما يكون بالدويّ المتصل منذ الأزل وإلى الأبد، وتذكروا أنها ليست صوتاً ولا حرفاً ولا تتعاقب، وهذه الصيغة لا توجد في كتاب ولا سنة، وإنما أفرزتها حججهم العقلية "زعموا"!

والسمع والبصر، يتأولونها بأنها العلم، بل حتى من زعم أنه يثبتها على حقيقتها، فسرها بخصائص العلم، حيث يزعمون أن العلم والسمع والبصر، صفات ذاتية أزلية يحصل بها انكشاف الأشياء، وغاية ما هنالك، أنه يحصل بالسمع والبصر انكشاف أقوى من العلم، إذاً لا يعدو الامر عند الأشاعرة أن يكون إلا انكشافاً أقوى من انكشاف، إذاً الله عندهم لا يسمع الأصوات، ولا يرى المرئيات.

وإذا كان الله تعالى لا يتكلم بصوت ولا يسمع الأصوات، ولا يبصر الصور والمرئيات، فهذا يعني أنه أبكم أصم أعمى، تعالى الله علواً كبيراً، فحتى يخرجوا من هذا المأزق، ويحسّنوا صورة مذهبهم، قالوا بقول إخوتهم المعتزلة، بأن الله لا يوصف إلّا بصفات السلوب، أي: تنفى عنه الصفة وضدها، فليس بمتكلم بصوت وليس بأبكم، ولا يسمع الأصوات وليس بأصم، ولا يبصر الصور وليس بأعمى، وهكذا، ولا يثبتون لله إلّا ما أثبتوه هم له من الصفات التي ذكرناها آنفاً، وخلافهم مع المعتزلة، هو حول ما أثبتوه من الصفات فقط!

وأما صفة الحياة، فلا تكون إلا لموجود، وكل موجود له ذات، وكل ذات لها شخص وحدّ تعرف به، وفعل يُدرَك به أنها حيّة، فإذا لم يكن للشيء شخص وحدّ يعرف به، وفعل، فكيف يكون حياً؟! هذا ثابت في العقل الذي يزعمون أنهم يحتجون به، وفي النقل الذي أعرضوا عنه!

وإذا لم يكن الشيء حياً، فكيف يكون عالماً، أو مريداً، أو قادراً، أو يحدّث نفسه؛ لأن هذه الصفات لا تكون إلا لمن كان حياً وله ذات، وهم لا يثبتون لله تعالى وتقدس حياة حقيقية ولا ذاتاً حقيقيّة.

فتبين أن القوم لا يثبتون لله صفات بالمرّة لا سبع ولا غيرها، وأنهم لا يؤمنون بوجود الله تعالى وتقدس، ولذلك تجد أكثرهم انحرف إلى الشرك وعبادة الموجودات كأسلافهم الفلاسفة الملاحدة القدماء، ولكن كل ما في الأمر، أنهم استبدلوا الأصنام التي كان يعبدها أسلافهم الفلاسفة، بالأنبياء والأولياء، فعبدوهم من دون الله تعالى وتقدس، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم كانوا يظلمون.

## من أين جاء المعتزلة والأشاعرة بقولهم في صفات الله تعالى

إن الناظر في معتقد المعتزلة والاشاعرة، يعلم يقيناً أنهم لم يأخذوا معتقدهم في صفات الله تعالى، إلّا من كتب ملاحدة فلاسفة الإغريق، وذلك للتطابق الشديد بين معتقد المعتزلة والأشاعرة ومعتقد ملاحدة فلاسفة الإغريق.

ولعل أكثر من أثّر في المعتزلة والأشاعرة من الفلاسفة هم: فيثاغورس وأفلاطون وأرسطوطاليس وجالينوس وأفلوطين، لذلك تجد المعتزلة والأشاعرة أحياناً ما يصرّحون بالنقل عن هؤلاء الفلاسفة، وأكثر الأحيان لا يصرّحون بذلك، ربما ليجعلوا مصدر عقيدتهم سرّاً حتى لا يُتّخذ من ذلك مطعناً فيهم، إلّا أن وله بعضهم بفلاسفة الإغريق، تجعله يصرّح بذكر أسمائهم، كما فعل الإيجي.

يقول الإيجي الأشعري في المواقف: "مذهب جالينوس في حدوث الأجسام مسالك، المسلك الأول وهو المشهور: الأجسام لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث". اهـ

ومن هنا نعلم من أين جاء الاشاعرة وسلفهم المعتزلة، بالأصل الذي بنو عليهم معتقدهم في تعطيل صفات الله تعالى الفعلية.

وبهذا الأصل، أول الاشاعرة وسلفهم المعتزلة، الآيات والأحاديث الدالة على ثبوت الصفات الفعلية لله تعالى، كالسمع والبصر والكلام بصوت والأتيان والمجيء والنزول والصعود والاستواء على العرش.

وأنا أنقل هنا نصوصاً في معتقد فلاسفة الإغريق، لإثبات التشابه الكبير بين عقيدتهم وعقيدة الأشاعرة والمعتزلة.

تختصر لنا الباحثة المغربيّة الدكتورة بشرى زكاغ عقيدة أرسطوطاليس في الإله، في مقالها بعنوان: فكرة الإله عند أرسطو وامتدادها في الثقافة الغربيّة. ما نصّه: "بأنّ الإله محرك لا يتحرك، فكل محرك سواء أكان شخصًا أو شيئًا أو فكرةً، يحرك شيئًا ويحركه شيء، فالمحراث يحرك التربة، واليد تحرك المحراث، والعقل يحرك اليد والرغبة في الطعام تحرك العقل، وغريزة حب الحياة تحرك الرغبة في تناول الطعام والشراب. ولكن الإله حسب أرسطو لا يمكن أن يكون نتيجة لأي عمل، بل هو مصدر كل عمل، إنّه محرك العالم الذي لا يتحرك، يقول في هذا الطرح: "ينبغي أن تنتهي سلسلة المتحركات إلى محرك أول لا يتحرك وهو أصل الحركة بجميع أشكالها في الكون"، وطبيعة هذا المحرك أنّه: ينبغي أن يكون محركًا أزليًّا، لأنّه لو تحرك بغيره فمعنى هذا أنّه يوجد شيء آخر يحركه، فهو لا يمكن أن يكون محركًا بغيره بل محرك بذاته. وينبغي أن يكون غير منقسم وغير ذي كم، أي أنّه أبدي لا ينقسم لأنّه، إذا انقسم تعدد ولو تعدد لأصبح له أجزاء، وعندها لا نستطيع أن نعرف الحركة من أي جزء، وهو لا يكمم (من الكمية) لأنّه خالٍ من المادة. وينبغي أن يكون بالفعل دائمًا: أي أنّه فعل محض خالص. وينبغي أن يكون عقلاً بالفعل وأن يكون موضوع عقله أسمى المعقولات، أي أنّه عبارة عن فكر وعقل، وما دام فكرًا وعقلاً فهو أقرب إلى الأشياء الإلهية. ومن ثم يعتبر أرسطو أنّ الإله جوهر تتحد فيه الذات بالموضوع، من حيث لا يعقل إلا أشرف الأشياء وأنفسها وهي ذاته، ويتنزه عن عقل ما دونها شرفًا أو نفاسة، لما يدخل ذلك عليه من نقص، فهو والحال هذه عقل يعقل العقل، وإله أرسطو بعد ذلك لا يهمه أمر العالم، وإن كان أمره يهم العالم، ومعناه أنّ الإله إذا اهتم بالعالم تعرض

للانفعالات النفسية التي قد تدفعه إلى تغيير رأيه منفعلاً ومتأثرًا، كأن يمتلئ غضبًا أو أن ينعم على من يحب من الناس، أي أنّه يكون ناقصًا، ولكن الإله في فلسفة أرسطو يجب أن يكون كاملاً يسمو على الانفعال والتغير".

هذه باختصار عقيدة أرسطوطاليس في صفات الإله!

فلقول أرسطو: بأن الإله محرك لا يتحرك، نفى الأشاعرة والمعتزلة الحركة ولوازمها من الإتيان والمجيء، عن الله تعالى، وبالتالي حرّفوا الآيات الواردة في إتيان الله ومجيئة، بإتيان أمره ومجيء أمره، مع أن الآيات والأحاديث تدل على بطلان تأويلهم، وأن الله تعالى يأتي ويجيء بنفسه، أي: أن الله تعالى يتحرك.

ولقوله أرسطو: وينبغي أن يكون غير منقسم وغير ذي كم. نفى الأشاعرة والمعتزلة صفات الله تعالى، لأن إثبات الصفات لله تعالى بزعمهم، يلزم منه أن يكون الله منقسماً وذا كم! وكل ما ورد من الآيات في إثبات الصفات، تأولوها من الصفات، بما لا يفيد عندهم أن الله منقسم أو ذا كم، مثال: يتأولون اليد بالقوة أو النعمة!

ولقول أرسطو: أن الله تعالى لا تعتريه الانفعالات النفسيّة وأنه لا يغضب ولا يرضى ولا يحب، نفى الأشاعرة والمعتزلة أن الله تعالى يشعر، فعندهم أن الله تعالى لا يغضب ولا يرضى ولا يحب، وجميع البيات التي وردت في إثبات هذه الصفات لله تعالى، يتأولونها من الصفات بما لا يتعارض مع قول أرسطو، فيتأولون الغضب بلازمها، وهي إرادة العذاب، ويتأولون الرضى والحب، بإرادة النعيم، فيتأولونها بالإرادة.

ويختصر لنا زكي نجيب محمود وأحمد أمين، معتقد أفلوطين في صفات الإله، في كتابيهما: قصة الفلسفة اليونانية، ما نصّه: " إن هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير، وهو لم يوجد بنفسه بل لا بُدَّ له من علة سابقة هي السبب في وجوده، وهذا الذي صدر عنه العالم «واحد» غير متعدد، لا تدركه العقول ولا تصل إلى كُنهه الأفكار، لا يحده حد، وهو أزلي أبدي قائم بنفسه، فوق المادة وفوق الروح وفوق العالم الروحاني، خلق الخلق ولم يَحُلَّ فيما خلق، بل ظل قائمًا بنفسه على خلقه، ليس ذاتًا وليس صفة، هو الإرادة المطلقة لا يخرج شيء عن إرادته، هو علة العلل ولا علة له، وهو في كل مكان ولا مكان له. ولما كان الشبه منقطعًا بينه وبين الأشياء لم نستطع أن نصفه إلا بصفات سلبية، فهو ليس مادة وهو ليس حركة وليس سكونًا، وليس هو في زمان ولا مكان، وليس صفة لأنه سابق لكل الصفات، ولو أُضيفت إليه صفة ما لكان ذلك تشبيهًا له بشيء من مخلوقاته، وبعبارة أخرى لكان ذلك تحديدًا له، وهو لا نهائي لا تحده الحدود، فلسنا نعلم عن طبيعة الله شيئًا إلا أنه يخالف كل شيء ويسمو على كل شيء. ولأن الله فوق العالم ولأنه غير محدود لا يمكنه أن يخلق العالم مباشرة، وإلا لاضطر إلى الاتصال به، مع أنه بعيد عنه لا ينزل إلى مستواه، ولأنه واحد لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد، ولا يستطيع أن يخلق الله العالم؛ لأن الخلق عمل، أو إنشاء شيء لم يكن، وذلك يستدعي التغيير في ذات الله، والله لا يتغير، يقول أفلوطين: إنَّ الله علَّة العالم، ويقول من ناحية أخرى: إن الله فوق العالم، ولا يمكن أن يتصل به أي اتصال، هذان قولان متناقضان، فكيف التوفيق بينهما؟ وكيف نشأ العالم عن الله؟ فلجأ أفلوطين في الإجابة عن هذا إلى الشعر والاستعارة والتمثيل، يقول: إن تفكير الله في نفسه وكماله نشأ عنه فيض، وهذا الفيض صار هو العالم، وكما يبعث اللهيب ضوءًا والثلج بردًا كذلك انبعث من الله شعاع كان هو العالم.

وبذلك خرج أفلوطين من المأزق المنطقي بعبارات شعرية؛ وعلى ذلك يكون الكون قد انبثق من الله انبثاقًا طبيعيًّا بحكم الضرورة، ولكن ليس في هذه الضرورة أي معنًى من معاني الاضطرار والإلزام، وليس في الخلق معنى الحدوث وليس يقتضي تغيرًا في الله".

فقول أفلوطين: وهذا الذي صدر عنه العالم «واحد» غير متعدد. أخذ منه الأشاعرة والمعتزلة نفي صفات الله تعالى، لأن إثبات صفات متعددة لله تعالى، يلزم منه إثبات التعدد لذات الله تعالى، حسب زعمهم!

وقول أفلوطين: لا يحده حد. أخذ منه الأشاعرة والمعتزلة نفي الحد لله تعالى.

وقول أفلوطين: ليس ذاتاً وليس صفة. أخذ منه الأشاعرة والمعتزلة، بأن الله ليست له ذات حقيقية.

وقول أفلوطين: وهو في كل مكان ولا مكان له. أخذ منه بعض المعتزلة أن الله في كل مكان، ومنها نشأت عقيدة الحلول والاتحاد، والتي عليها بُنيَت عقيدة وحدة الوجود ووحدة الشهود، وأخذ منه بعض المعتزلة وجميع الأشاعرة والماترية، أن الله تعالى بلا مكان، ولا يعرف لله مكان!

وقوله أفلوطين: أن الله ليس حركة ولا سكون. أخذ منه الأشاعرة والمعتزلة نفي الصفة وضدها، فهم يصرّحون ويقولون بأن الله لا يتحرك وليس بساكن!

وقول أفلوطين: أن الله ليس في زمان ولا مكان. أخذ منه الأشاعرة والمعتزلة أن الله تعالى بلا زمان ولا مكان.

وقول أفلوطين: ولو أُضيفت إليه صفة ما لكان ذلك تشبيهًا له بشيء من مخلوقاته. وقوله: فلسنا نعلم عن طبيعة الله شيئًا إلا أنه يخالف كل شيء. أخذ منه

الأشاعرة والمعتزلة نفي جميع أوجه التشابه بين صفات الله وصفات خلقه، وقولهم: كل ما خطر ببالك فالله بضدّ ذلك.

وقول أفلوطين: ولا يستطيع أن يخلق الله العالم؛ لأن الخلق عمل، أو إنشاء شيء لم يكن، وذلك يستدعي التغيير في ذات الله، والله لا يتغير. أخذ منه الأشاعرة والمعتزلة إنكار أن الله تعالى يعمل، أو يتحرك، ومنه أيضاً أخذوا قولهم بأن الله تعالى لا يتغيّر.

وقول أفلوطين: أن الله تعالى نشأ عنه فيض، وهذا الفيض صار هو العالم. أخذ منه الأشاعرة والمعتزلة أن الله خلق الكون بواسطة الفيض الذي يفيض منه.

قلت: فإذا قارنت بين أقوال فلاسفة الإغريق، وبين معتقد المعتزلة والأشاعرة في صفات الله تعالى، وجدتها متطابقة.

وملاحدة فلاسفة الإغريق، ليسوا بأنبياء، ولا ينزل عليهم وحي من السماء، وليسوا بأتباعٍ للأنبياء، إنما يظنون ظناً، ويخرصون خرصا، ويرث بعضهم قول بعض، ويضيف إليه ما تيّسر من أوهامه وظنونه وتخرصاته!

وأن المعتزلة والأشاعرة، عندما يقولون: الحجج العقليّة، فإنما مرادهم، هرطقات وظنون وأوهام أئمتهم فلاسفة الإغريق.

وقد بيّنت بطلان قولهم في صفات الله تعالى في كتابي: صفات الله عز وجل بفهم العرب الأميين الذين نزل الوحيان بلغتهم، وأثبت بالأدلة النقلية واللغوية والعقلية أن صفات الله تعالى تشبه صفات البشر خصوصاً في كثيرٍ من نواحيها، وأن تعدد الصفات لا يعني تعدد الذوات.

فيا أيها العقلاء، أيّ عقل هذا، الذي يقطع في أمر غيبي لم تدركه العقول.

وأيّ عقل أو دين عند هؤلاء المعتزلة والأشاعرة، الذين جعلوا ظنون وتخرصات وأوهام ملاحدة الإغريق، مقدّمة على القرآن الذي هو كلام الله وعلمه والسنّة التي هي كلام رسول الله وعلمه!

## من أين جاء المتكلمون بقولهم أن تعدد الصفات يستلزم تعدد الذوات؟

يزعم المتكلمون وعلى رأسهم إمامهم في الضلالة "الرازي" أن تعدد الصفات يستلزم تعدد الذوات، وبذلك، فلو أثبتنا لله تعالى عدة صفات، فقد أشركنا به في ربوبيته، ولذلك وصف "الرازي" كتاب التوحيد للشيخ ابن خزيمة بكتاب الشرك، لأنه بزعمه أثبت لله تعالى صفات عدّة وبالتالي أثبت الشريك لله تعالى في ربوبيته!

وهم بنو قولهم هذا على ما أسسه لهم أئمتهم ملاحدة الفلاسفة، المنتسبين لمدرسة فيثاغورس، حيث يعتقد تلاميذ هذه المدرسة أن العدد هو جوهر الأشياء، لكنهم يخلطون بين الواحد الحسابي والواحد الهندسي، الذي هو النقطة، فيعطون الواحد الهندسي، قيمة الواحد الحسابي!

وهذا خطأ استدركه عليهم المهندسون، لأن المهندسون يفرقون بين بين الواحد الحسابي الذي هو وحدة العدد والنقطة التي هي وحدة الهندسة، فالواحد الحسابي، وجوده وجود حقيقي، لذلك له قيمة، بينما الواحد الهندسي، ليس له وجود حقيقي، وإنما فرض فرضاً، فهو لا قيمة له.

فعندما نرسم رقم واحد، فإنما نعبر عنه بالرقم واحد، ولكن هذا الرسم، مكون من نقاط، يتشكل منها رسم الرقم واحد، لكن لو أضفنا إلى ذات الرسم عشرات أو مئات أو ألوف النقاط، فإن الرسم سوف يبقى واحداً، ولن يتجزأ أبداً.

والسبب في ذلك: أن النقطة ليس لها وجود حقيقي، وإنما وجود ذهني، أي: يتم تخيّلها في الأذهان، لذلك تستطيع أن تفترض للشيء ما تشاء من النقط، ولو كان

للنقطة وجود حقيقي، لما استطعت ذلك، كما أنك لا تستطيع أن تفترض للأعداد الحقيقية ما تشاء من عدد، فإذا كان المعدود خمسة، فلن تستطيع أن تزيد إليهم شيئاً من مخيلتك.

مثال أخر: لو كان لديك حبل واحد، فهو واحد حسابياً، لكن لو أضفت له عشرات النقاط أو مئات أو ألوف النقاط، فسوف يبقى الحبل واحدا، وإن ازداد طولاً، ولكنه لن يتجزأ ليشكل زيادة في عدد الحبال لديك!

مثال أخر: الشجرة، لها صفات عدة، لها جذور وساق وأغصان وأوراق وثمار، وهي بمجموع صفاتها شجرة واحدة فقط، ولا يعقل أن يقال بأن تعدد صفاتها، جعل منها عِدّة أشجار، فلا يجوز عقلاً أن يقال عن الجذور وحدها بأنها شجرة، ولا يقال عن الساق وحدها بأنها شجرة، ولا يقال عن الغصن وحده بأنه شجرة، ولا يقال عن الورقة وحدها بأنها شجرة، ولا يقال عن الثمرة وحدها بأنها شجرة، إنما هذه الصفات بمجموعها تكوّن شجرة واحدة حسابيّاً، ولكن عند الفيثاغوريين وتلاميذهم من الأشاعرة والمعتزلة يجوز ذلك، بل هو الحق عندهم، وهذا جنون! فيعطون الجذر واحد حسابي، أي: نقطة، والساق كذلك والغصن كذلك .. الخ. ثم يدعون أن كل جزء في الشجرة، هو شجرة قائمة بذاتها، وهذا شيء يسير من تخلّفهم وقلّة عقولهم!

فعندما نقول ١+١ فإن النتيجة تكون ٢ . لكن لو ألغينا الواحد، ووضعنا بدلاً منه نقطه، فنقول: نقطة + ١ فإن النتيجة سوف تكون ١ .

فالمتكلمون أخذوا هذا الخطأ عن الفيثاغوريين، وطبقوه على صفات الله تعالى، وشبهوا صفات الله تعالى بالواحد الهندسي، والله تعالى بالواحد العددي، فأعطوا صفات الله تعالى قيمة عددية كما هو حال الواحد الهندسي عندهم، وبالتالي صار

إثبات الصفات عندهم، يستلزم إثبات تعدد الأرباب، كما هو الحال في مثال الشجرة، الذي ضربته سابقاً!

وهذا من زيغهم وضلالهم، وبعدهم عن هدي الكتاب والسنة، بل وبعدهم عن العقل والمنطق السليم، وأنهم إنما يتبعون فلاسفة الإغريق، لما جبلوا عليه من الزيغ والضلال والبعد عن الحق.

فإثبات صفات الله تعالى لا يعني إثبات تعدد الذوات، وبالتالي لا يعني إثبات تعدد الأرباب، لأن جميع الصفات، ما هي إلا شيء من ذات الله الواحدة، التي لا ثاني لها.

## تقديم الأشاعرة والمعتزلة للعقل على النقل

من المسلمات عند المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، أن العقل مقدم على النقل، ويزعمون أن العقل لا يخطئ، وأن النقل لا يفيد سوى الظن، ويحتكمون إلى حجج العقل وأدلته، ويسمونها القواطع العقلية.

وهم في ذلك يتابعون أئمتهم ملاحدة فلاسفة الإغريق، وهو أن العقل هو الحكم الفصل، ولا يزال الملاحدة إلى اليوم يزعمون الاحتكام إلى العقل، وأن العقل هو أعظم الأشياء، مع أنهم في الحقيقة لا يحتكمون إليه، وإنما يحتكمون لأهوائهم!

فعند الأشاعرة والمعتزلة، إذا ورد في النقل بما لا يقبله العقل بزعمهم، وجب تأويله على غير معناه الظاهر، بما يتوافق مع الحجج العقلية!

ولكن ما الذي أرادوه بهذا اقول! وهل هم حقاً يريدون بذلك أتباع الحق، أم أتباع الهوى؟

إن الناظر في حقيقة هؤلاء القوم، يدرك تمام الإدراك، أن المتكلمين، لم يريدوا الحق فيما ذهبوا إليه، وأنهم إنما أرادوا بهذا الأقوال، وما أسسوه من القواعد والأصول، إرغام الشريعة، حتى تأتي متوافقة مع فلسفة ملاحدة اليونان، في تصورهم للذات الإلهية.

فهم لما رأوا أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، تخالف تصور ملاحدة اليونان للذات الإلهية، بدأوا في الطعن في السنّة، لكون كثير من نصوصها صريحة لا تقبل التأويل.

يقول الرازي في كتاب المطالب العالية، وهو والله المطالب السافلة ما نصه: "أن الأخبار المذكورة في التشبيه بلغت مبلغا كثيرا في العدد وبلغت مبلغا عظيما في تقوية التشبيه وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل ولما كان القائل بالتشبيه جاهلا بربه والجاهل بربه يمتنع أن يكون رسولا حقا من عند الله علمنا أن أكثر هذه الروايات أباطيل وأضاليل وأن منصب الرسالة منزه عنه".

ثم يعتقد الرازي – بدون دليل شرعي أو حتى عقلي – أن إثبات الصفات طعن في ذات الله تعالى، ثم يقول: "فثبت بمجموع هذه الوجوه أن أخبار الآحاد ضعيفة لا تفيد إلا الظن".

ولنا أن نتسائل: ما الذي دفع الرازي إلى القول بأن إثبات الصفات تنقص لله تعالى! والجواب: أنه أخذ هذا المعتقد عن ظنون أرسطو وملاحدة اليونان، إذ يستحيل أن يعتقد إنسان سوي مثل هذا الاعتقاد، ما لم يفسد عقله من جهة خارجية، وسوف نثبت في الفصل القادم، مخالفة الأشاعرة للعقل الذي يزعمون الاحتجاج به.

أما الآيات القرآنية، فمع صراحتها، إلا أنهم جهدوا لتحريف معاني تلك الآيات ليتسنى لهم إقناع من لم يرد الله به خيراً، بأن القرآن لا يتعارض مع مذهبهم، وهذا منهم تلبيس وتدليس، ومكر لا يحيق إلا بهم.

ولذلك قعدوا قواعد خبيثة كقولهم أن القرآن ليس هدى في معرفة الله وصفاته وفي إثبات النبؤات، وأن الأخذ بظاهره كذب، وانظر كيف أنهم يخصصون بكون القرآن ليس هدى في مسألة واحدة فقط وهي: صفات الله وإثبات النبؤات، مع أنهم كذبوا في ذلك، فالله وصف نفسه بأوضح العبارات، وأثبت نبوءة نبيه بأقوى الحجج، مما

يدل على أن ما يدعونه من أن إثبات الصفات لله تعالى تنقص له، ما هو إلا كذب ودجل، ومخالفة ومعارضة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهم في تقديمهم للعقل على النقل، وافقوا الملاحدة الدهرية، الذين يرون الحجة المطلقة في العقل، ولا حجة في غيره.

فحقيقة هؤلاء المتكلمين أنهم ملاحدة في دثار مسلمين.

ونعطي من كلام علماءهم ما يثبت هذه التهمة عليهم، وإن كانوا لا يخجلون من التصريح بها، واعتقاد أنها الحق الذي يجب أن يعتقد به، فكلام الله وكلام رسوله ليس عند هؤلاء القوم بشيء، وإنما الحجة والبيان والهدى والشفاء والقوة والمتانة في الظنون والأوهام التي أسسها لهم ملاحدة اليونان.

فيقول عبدالقاهر البغدادي الأشعري المتوفى سنة ٤٢٩هـ في كتب أصول الدين – أي: دين المتكلمين – في شروط قبول خبر الآحاد: "والشرط الثالث: أن يكون متن الخبر مما يجوز في العقل كونه فإن روى الراوي ما يحيله العقل، ولم يحتمل تأويلاً صحيحا فخبره مردود .. وإن كان ما رواه الراوي الثقة يروع ظاهره في العقول ولكنه يحتمل تأويلاً يوافق قضايا العقول قبلنا روايته وتأولناه على موافقة العقول".

ويقول أبو المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ في كتاب الإرشاد وهو والله كتاب الإضلال، باب القول في السمعيات: "اعلموا: وفقكم الله تعالى أن أصول العقائد تنقسم إلى ما يدرك عقلاً، ولا يسوغ تقدير إدراكه سمعاً، وإلى ما يدرك سمعاً، ولا يتقدر إدراكه عقلاً، وإلى ما يجوز إدراكه سمعاً وعقلاً .. فإذا ثبتت هذه المقدمة، فيتعين بعدها على كل معتن بالدين واثق بعقله أن ينظر فيما تعلقت به الأدلة السمعية، فإن صادفه غير مستحيل في العقل، وكانت الأدلة السمعية قاطعة في

طرقها، لا مجال للاحتمال في ثبوت أصولها ولا في تأويلها، فما هذا سبيله فلا وجه إلا القطع به، وإن لم تثبت الأدلة السمعية بطرق قاطعة، ولم يكن مضمونها مستحيلاً في العقل، وثبتت أصولها قطعاً، ولكن طريق التأويل يجول فيها، فلا سبيل إلى القطع، ولكن المتدين يغلب على ظنه ثبوت ما دل الدليل السمعي على ثبوته وإن لم يكن قاطعاً،وإن كان مضمون الشرع المتصل بنا مخالفاً العقل، فهو مردود قطعاً بأن الشرع لا يخالف العقل، ولا يتصور في هذا القسم ثبوت سمع قاطع".

وقال: "وليس يتحتم علينا أن نتأول كل حديث مختلف، كيف وقد بينا أن ما يصح في الصحاح من الآحاد لا يلزم تأويله، إلا أن نخوض فيه مسامحين، فإنه إنما يجب تأويل ما لو كان نصاً لأوجب العلم".

وقال أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ بعد أن قسم ما لا يعلم بالضرورة إلى: ما يعلم بدليل العقل دون الشرع. وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل، وإلى ما يعلم بهما: "ثم كلما ورد السمع به ينظر: فإن كان العقل مجوزاً له، وجب التصديق به قطعاً، إن كانت الأدلة السمعية قاطعة في متنها ومستندها لا يتطرق إليها احتمال، وأما ما قضى العقل باستحالته، فيجب تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول، وظواهر أحاديث التشبيه أكثرها غير صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل، فإن توقف العقل في شيء من ذلك فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، وجب التصديق أيضاً لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط اشتماله على القضاء بالجواز".

وقال الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ في كتابه اساس التقديس: "الفصل الثاني والثلاثون: في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها؟ اعلم أن الدلائل القطعية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة: إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل. فيلزم تصديق النقيضين وهو محال. وإما أن يبطل، فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال. وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية، إلا إذا عرفنا بدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته. وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهور المعجزات على محمد صلى الله عليه وسلم، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية، صار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل، يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً، وأنه باطل. ولما بطلت الأقسام الأربعة، لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال: إنها غير صحيحة. أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها، ثم إن جوزنا التأويل واشتغلنا به على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى. فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات" اهـ

وهذه مجرد أمثله، وإلا فتقديم العقل على النقل محل إجماع من القوم.

قلت: وانظر كيف أن اهتمامهم منصب إلى التأكيد على بطلان أحاديث الصفات كل ما تكلموا عن حجية العقل، لتعلم أن هؤلاء القوم لم يجدوا ما يخالف فلسفة ملاحدة اليونان إلا ما ورد في باب صفات الله تعالى، لذلك فهم يجهدون لإبطالها، ويؤسسون القواعد والأصول لردها والتكذيب بها، بلباس شرعي زعموا!!

إذا فالعقل عند هؤلاء القوم حاكمٌ وليس بمحكوم، وبطلان قولهم من أوضح ما يكون:

أولها: أن القوم إنما قدموا الاحتجاج بالعقل لا لشيء إلا لأنهم وجدوا أن الأحاديث التي وردت في الصفات جاءت متعارضة مع فرضيات ملاحدة اليونان في تصورهم للذات الإلهية.

وثانيها: أن هذا الادعاء لا دليل عليه من الشرع أصلاً، وإنما هي قواعد وأسس وفرضيات، يختلقونها من أمهات رؤوسهم، ليبنوا عليها دينهم، نعوذ بالله من حالهم.

وثالثها: أن الله تبارك وتعالى جعل لعقل العباد حدود في المعرفة لا يتجاوزها، والله تبارك وتعالى هو من سن نواميس هذا الكون، وهو سبحانه القادر على ابطالها، فحججهم العقلية، هي في الحقيقة قائمة على أقيسة عقلية، بحيث يقوم المتفلسف بقياس العالم الشاهد بالعالم الغائب، ثم بناء تصوّر يرتكز في معلوماته على العالم المشاهد!

فمن يثبت لهم أن العالم العلوي له نفس النواميس التي يسير عليها العالم السفلي!

وحتى نبطل احتجاجهم بالعقل، نقول: قد جرت العادة أن المياه تنسكب من أعلى إلى أسفل، فبالعقل لا يمكن أن تنسكب المياه من أسفل إلى أعلى، ومع ذلك

توجد مناطق في الأرض، ينسكب فيها الماء من أسفل إلى أعلى! وهذا مخالف للعقل تماماً، وهذا يجري في كوننا الذي نعيش فيه، والذي يقوم هؤلاء الحمقى بقياس كل شيء عليه، فكيف بالعالم العلوي ونواميسه التي لم نطلع عليها ولم نشاهدها، ثم كيف بالله تعالى وتقدس، الذي هو خالق الكونين العلوي والسفلي، وخالق نواميسها!!!

فثبت من خلال ما سبق، أن العقل له حدود في المعرفة، لا يتجاوزها، فكيف يكون ما يصدر عن هذا العقل من حجج واستنتاجات قطعية الدلالة!

رابعها: أن القوم بالكاد يتفقون على حجة واحدة! هذا وهم يدعون أن الحجج العقلية قطعية الدلالة، تفيد اليقين! فلو كانت حججهم العقلية قطعية الدلالة وتفيد اليقين كما يزعمون لما اختلفوا، ولكن كل طائفة منهم عندها حجج عقلية واستنتاجات تخالف الأخرى، وترد عليها!

فالمعتزلة ينكرون الصفات جميعاً، ويجعلون ما ورد من ذكر الصفات في القرآن، مجرد اسماء بلا معاني!

وأما الأشاعرة ففي أول الأمر أثبتوا الصفات الذاتية وجحدوا الصفات الاختيارية، فخالفوا حجج المعتزلة العقلية، بناء على حججهم العقلية الخاصة بهم.

ولكن يبدوا أن إثبات جميع الصفات الذاتيّة لم يرق لبعضهم، فخالفهم بناء على حججه العقلية، فنفى جميع الصفات، ولم يثبت سوى سبع صفات.

ولكن أيضا هذا لم يرق لبعضهم، فحججه العقلية جعلته يستنتج أن الصفات التي يجب أن تثبت خمسة فقط، وأخر اعترض، وقال بأن حججه العقلية جعلته

يستنتج أن الصفات التي يجب أن تثبت ثمان، وأخر ذهب إلى أنها اثنى عشر، وأخر إلى أنها ثلاثة عشر، وأخر إلى أنها عشرين .. الخ

فكيف يكون العقل حجة بعد هذا، وكيف تكون حججهم العقلية قطعية الدلالة وتفيد اليقين، وهم يرون أنفسهم لا يتفقون على شيء من هذه الحجج والاستنتاجات.

فهؤلاء القوم في الحقيقة في أمر مريج، وهذا سبيل من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الفلسفة والكلام والتكلف والتشدق والتفيهق والتقعر، فإنه لا يزال في حيرة حتى يلقيه الله تعالى في نار جهنم إن شاء الله.

## مخالفة الأشاعرة والمعتزلة للعقل والنقل معاً

فكما أنهم خالفوا القرآن والسنّة، فقد خالفوا العقل أيضاً، إذ وصفوا الله تعالى بصفات العدم، ثم قالوا هذا تنزيه، وما التنزيه أرادوا والله، وإنما أرادوا متابعة أئمتهم ملاحدة فلاسفة الإغريق، واستتروا بالتنزيه، ليُحْسِن الناس بهم الظنّ، وإلّا فقولهم تنقص لله تعالى، بوصفه بصفات العدم، فإن نفي الصفة وضدّها، هو وصف للعدم، فخالفوا العقل بجعلهم صفات النقص صفات كمال، وخالفوا النقل بتكذيبهم ما تضمنته ظواهر النصوص الشرعية من إثبات تعدد صفات الله سبحانه وتعالى.

فمن ذلك أيضاً ادعاءهم أن الله بلا مكان ولا زمان، وقد علم بالعقل أن ما لا مكان له ولا زمان هو في الحقيقة عدم، هذا بالعقل الذي يتظاهرون بالاحتجاج به، وهو بريء منهم.

أما في الشرع فقد أثبت الله تعالى لنفسه المكان والزمان، فقال تعالى: (الرحمن على العرش استوى) وأثبت الزمان فقال (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) فالله تعالى خلق الأمكنة واصطفى له منها مكان، وخلق الأزمنة، وقدّر له منها زمان، فهو يفعل ما يشاء، لأنه على كل شيء قدير.

وقد بيّنت صفات الله تعالى التي جحدها هؤلاء الضلّال بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة واللغة والعقل في كتابي: معاني صفات الله تعالى.

وكذلك قول الأشاعرة أن الله يرى يوم القيامة، ثم يقولون: يرى بلا جهة ولا صورة، وقد علم من لديه ذرة من عقل، أن ما لا جهة له ولا صورة له، هو في الحقيقة لا يرى.

وكذلك قولهم بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا متحرك ولا ساكن، فهذا الكلام الذي يرفضه العقل السليم، تتنزه المجانين عن التلفظ به أو بمثله.

ومن رأى حال هؤلاء القوم، وماهم فيه من الحيرة والأمر المريج، لا يسعه إلا أن يحمد الله تعالى على أن عافاه مما ابتلاهم به.

ولذلك كان فردريك نيتشه الفيلسوف الألماني يعلن في كتابه نشأة الفلسفة في فترة المأساة الإغريقية، أنه بناء على تصورات فلاسفة الإغريق للإله، فإن الإله قد مات!

ولذلك نجد أن الشرك وعبادة المخلوقات انتشرت بين الأشاعرة والمعتزلة، لأن الإله ليس حاضراً في معتقدهم، كما سوف أبيّن إن شاء الله تعالى.

## موقف المعتزلة والأشاعرة من القرآن الكريم

وصف الله تبارك وتعالى بأنه هدى وبينات وفرقان وموعظة وشفاء ورحمة وأطلق سبحانه وتعالى هذه الأوصاف ولم يقيدها فدل ذلك على أنها هدى وبينات وفرقان وموعظة وشفاء ورحمة في كل شيء.

فقال تعالى: (ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدى لِّلْمُتَّقِينَ)

وقال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ)

وقال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰت مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ)

وقال تعالى: (هَٰذَا بَيَان لِّلنَّاسِ وَهُدى وَمَوْعِظَة لِّلْمُتَّقِينَ)

وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَة مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآء لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدى وَرَحْمَة لِّلْمُؤْمِنِينَ)

إلى غير ذلك من الآيات

لكن علماء الأشاعرة لهم رأي أخر!

فتعالوا نرى ما هو رأي علماء الأشاعرة في القرآن العزيز؟!

قال الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين: "الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر"!

وقال السنوسي الأشعري شيخ الطريقة السنوسية في شرح أم البراهين ما نصه: "أصول الكفر ستة .. ثم ذكر الأصل السادس فقال: التمسك في أصول العقائد بظواهر الكتاب والسنة" اهـ

قال الرازي في تفسيره :"قال الرازي في تفسيره :" السُّؤَالُ الثَّالِثُ: كُلُّ مَا يَتَوَقَّفُ صِحَّةُ كَوْنِ الْقُرْآنِ حُجَّةً عَلَى صِحَّتِهِ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ هُدًى فِيهِ، فَإِذَنِ اسْتَحَالَ كَوْنُ الْقُرْآنِ هُدًى فِي مَعْرِفَةِ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَفِي مَعْرِفَةِ النُّبُوَّةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَطَالِبَ أَشْرَفُ الْمَطَالِبِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ هُدًى فِيهَا فَكَيْفَ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُدًى عَلَى الْإِطْلَاقِ؟ الْجَوَابُ: لَيْسَ مِنْ شَرْطِ كَوْنِهِ هُدًى أَنْ يَكُونَ هُدًى فِي كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ يَكْفِي فِيهِ أَنْ يَكُونَ هُدًى فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ هُدًى فِي تَعْرِيفِ الشَّرَائِعِ، أَوْ يَكُونَ هُدًى فِي تَأْكِيدِ مَا فِي الْعُقُولِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّ الْمُطْلَقَ لَا يَقْتَضِي الْعُمُومَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهُ بِكَوْنِهِ هُدًى مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ فِي اللَّفْظِ، مع أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ هُدًى فِي إِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ وَإِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ، فَثَبَتَ أَنَّ الْمُطْلَقَ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ." انتهى

قلت: فانظر كيف أنه أقر بأن الله وصف القرآن بأنه هدى بإطلاق ولم يقيد هذا الوصف بقيد ثم هو يزعم أن القرآن ليس هدىً في إثبات الله وصفاته وإثبات النبوّة محتجا بكون القرآن لم يأتي بتعريف الشرائع من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك.

وعليه نقول:

أولا: القرآن كتاب هدى في كل شيء وإن لم يأتي بتفصيل الشرائع لكنه لا يدل الإنسان إلا إلى الهدى وأعظم الهدى معرفة الله وصفاته وربوبيته وألوهيته فإذا ضل الإنسان في هذه المسائل لم تنفعه الشرائع وإن ذكرها الله في القرآن.

ثانيا: أن مراد الأشاعرة أن القرآن قد يكون كتاب ضلالة ويهدي إلى الكفر فيكون كتاب هدى في جانب وكتاب ضلالة في جانب أخر لذلك يصرحون أن الاخذ بظاهره كفر كل هذا من أجل أن يتسنى لهم نفي الصفات تقليدا لملاحدة الإغريق وإنكار توحيد الألوهية!

وهذا هو عين التكذيب بالقرآن فإن القرآن كما تقدم كتاب هدى بإطلاق لا يمكن ويستحيل أن يكون كتاب ضلالة أو يهدي الناس إلى الكفر وهذا هو موضع الخلاف بيننا وبين ملاحدة الأشاعرة فحتى لو لم يفصل الله الشرائع في القرآن فهو لا يهدي إلى الكفر والضلالة مطلقاً، بل يهدي إلى الحق والخير، لأنه بيّن ووضح بأوضح بيان العقيدة التي يجب أن يعتقدها العبد قبل العمل، لأن العمل بغير هذه العقيدة لا قيمة له، وهو حابط.

ولكن مع ذلك أقول " صدقوا فيما قالوه " فالله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز الذي هو هدى ونور وشفاء ورحمة: (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيد)

قَالَ قَتَادَةُ: عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ وَصُمُّوا عَنْهُ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ.

رواه البغوي في تفسيره.

فكونه عمى على الذين لا يؤمنون، لأنهم هم لا يريدون الحق، فأعماهم الله عن تدبر آيات والإيمان بها، وهذا هو حال ملاحدة الأشاعرة، نسأل الله العفو والعافية.

وكما هي عادة الأشاعرة، فإنهم يبحثون عن أي شيء في القرآن، ليحتجوا به في إثبات عقائدهم، ولكونهم أهل حيل، فإنك إذا سألتهم ما الدليل على أن الاخذ بظواهر الآيات كفر؟ فإنهم لا يذكرون لك شيئاً من آيات الصفات التي لا يجد فيها ذوو الفطر السليمة والعقول النظيفة ما يوجب الحكم على القرآن بهذا الحكم الذي لا يتفوه به من شم رائحة الإسلام، فيعمدون عندئذ إلى البحث عن الآيات المتشابهات، والتي قد تغر بعض الجهلة من الناس، كقوله تعالى: "نسو الله فنسيهم" فيقولون له: الله لا ينسى، لأن النسيان صفة نقص، ومن وصف الله تعالى بشيء من صفات النقص فهو كافر، إذا فظاهر هذه الآية يدل على الكفر، وهذا يعني أن القرآن لا يمكن قبوله على ظاهره، فظاهره يدل على الكفر، ثم يسحبون حكمهم على هذه الآية على جميع آيات الصفات، وبهذا تنطلي حيلتهم على السذّج.

والجواب: من العجائب أن ترى الأشاعرة الذين ما تركوا صفة نقص إلا وألحقوها بذات الله تعالى وتقدس، يكفرون من لم يصف الله تعالى بكمال القدرة على تذكر الأشياء، مع أنهم أنفسهم من لا يقرون بكمال صفة القدرة لله تعالى، إذ يعتقدون أن الله لا يقدر بذاته على شيء سوى على إعطاء الأوامر النفسية، وبعضهم يقول هو قادر على السمع المسموعات وبصر المرئيات، وحتى هذه الصفات يقولون بأنه عاجز عن سمع الأشياء بمشيئته، ورؤية الأشياء بمشيئته، بل هو يسمعها ويراها رغماً عنه وإن لم يشأ ذلك، وهم لا يقولون ذلك تصريحاً، وإنما هذا لازم قولهم، ولا يمكن أن يتم قولهم إلا بذلك، ونفي كمال صفة القدرة كفر، فهم بذلك يكفرون أنفسهم

وأما قوله تعالى: "نسو الله فنسيهم" فليس فيها ما يدل على أن الله تعالى وتقدس عاجز عن تذكر جميع الأشياء، ولكن لو عرضت هذه الآية على صبيٍّ من صبيان

العرب، لفهمها أفضل من فهم أكبر علماء الأشاعرة، إذ أنه قد جرت عادة العرب على أنهم إذا أعرضوا عن الشيء إعراض المبغض التارك له، وسئلوا عنه قالوا "نسيناه" لا يعنون به أنهم لم يعد يتذكرونه، بل يريدون بذلك شدّة الترك والإعراض.

وهذا هو مراد الله من هذه الآية، وهو أن الله أعرض عن الكفار وتركهم لبغضه لهم، فالقارئ العربي، بل وحتى العجمي إذا ترجمة الآية إلى لغته ترجمة صحيحة، لا يحتاج إلى فيلسوف أشعري ليبين له معنى هذه الآية، هو يفهمها فهماً جيداً من دون أي تدخل من اي طرف خارجي، بل إن تدخل مفسري الأشاعرة في تأويل هذه الآية، هو من سوف يفسد على القارئ فهم هذه الآية فهماً صحيحاً.

ولو سلمنا أنها من المتشابهات، فنقول: أن المتشابه هو ما كان له معنيان فأكثر، معناً حق ومعناً باطل، فكيف نصل إلى المعنى الصحيح؟ والجواب: نصل إلى المعنى الصحيح من خلال القرآن نفسه، أو من خلال ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة، فإن فهم الصحابة لقرآن والسنة، أحكم، لكونهم تلاميذ النبي صلى الله عليه وسلم من جهة، ولكونهم عرباً أقحاحاً من جهة أخرى.

والدليل على ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما بعث عبدالله بن عباس إلى الخوارج قال: لا تجادلهم بالقرآن، فإنه خصم ذو وجهين، ولكن جادلهم بالسنن، فإن أهل السنن أعلم بكتاب الله، فتم له الغلب عليهم.

وقول الإمام علي "خصم ذو وجهين" أي : أن فيه آيات متشابهات، يكون لها معناً حق ومعناً باطل، فأهل الضلال، يحتجون بمعناه الباطل، ويتركون المعنى الحق، كما قال تعالى: (وأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فحتى نعرف المعنى الحق، ونقيم على أهل الضلال الحجة، نرد الآيات

المتشابهات إلى المحكم من القرآن، أو إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فيبطل ما ذهبوا إليه من معانٍ باطلة، ويخصمون.

لكن الأشاعرة بخلاف ذلك، فبدل أن يردوا الآيات المتشابهات إلى المحكم من القرآن، والسنة، ردّوا القرآن كله والسنة لقواعدهم الكلامية التي ورثوها عن ملاحدة اليونان، فما وافق قواعدهم الكلامية أو لم يتعارض معها أجروه على ظاهره، وما تعارض معها تأولوه حتى يأتي متوافقاً مع قواعدهم الكلامية، وهذا عين الكفر بالقرآن والسنة.

لذلك فقوله تعالى: "نسو الله فنسيهم" يعتبر من المتشابه، لكون النسيان عند العرب له معنيان كما قدمنا، معناه عدم تذكر الشيء ومعناه الأخر هو: الترك. فحتى نعرف ما المعنى الصحيح لهذه البية نبحث في القرآن وفي السنة، وبعد البحث وجدنا الله تبارك وتعالى يقول: "لا يضل ربي ولا ينسى" فهذه الآية محكمة؛ لأنه لا يوجد تأويل أخر لقوله تعالى "ولا ينسى" إلا أن الله تعالى لا ينسى الأشياء، فهذه البية محكمة، فنرد الآية السابقة إليها، فيتبين لنا أن معنى قوله تعالى: "نسو الله فنسيهم" إنما أراد تركوا الله فتركهم.

## موقف الأشاعرة والمعتزلة من سنّة النبي محمّد (ص)

يقول فخر دين الجهمية وغلاة المرجئة، المدعو: الرازي، في كتابه المطالب العالية، ما نصه:

"إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه، بلغت مبلغاً كثيراً في العدد، وبلغت مبلغا عظيما في تقوية التشبيه، وإثبات أن إله العالم، يجري مجرى إنسان كبير الجثة، عظيم الأعضاء، وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل، ولما كان القائل بالتشبيه جاهلاً بربه، والجاهل بربه يمتنع أن يكون رسولاً حقاً من عند الله، علمنا أن أكثر هذه الروايات أباطيل وأضاليل، وأن منصب الرسالة منزّه عنه!" اهـ

وحاصل القول عند الرازي الضال، أن الأحاديث الواردة في باب الصفات تواترت تواتراً لا يمكنه معه تأويلها على غير ظاهرها، وأنه تدل حقيقة على إثبات الصفات الواردة فيها.

وبدل أن يؤمن بها ويصدّق بها، زعم، أن القائل بالتشبيه جاهلٌ بربّه!

والسؤال هنا: ما الدليل الشرعي على أن القائل بالنشبيه جاهل بربه؟ هل هناك آية أو حديث؟ بالطبع لا. وكيف وهو وأهل ملّته يشهدون أن ظواهر القرآن والسنة تدل على التشبيه المحض، أي: أن القرآن أيضاً يصدّق الأحاديث في مسألة التشابه بين صفات الله تعالى وصفات البشر. ولكن الرازي مع ذلك، زعم أن القائل بالتشبيه جاهل بربه! لماذا؟ لأنه لم يخالف الكتب ولم يخالف السنة، بل خالف قول أئمتهم فلاسفة ملاحدة الإغريق، الذين يرضخون الأقاويل من رؤوسهم!

وبناء على أن أئمته الفلاسفة يزعمون – بغير دليل من الله أو أحدٍ من رُسُلِه – أن الله بلا صفات، وأنه لا يوصف إلا بصفات السلوب، وقولهم هذا عند هذا الجاهل، هو القول المحكم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فبالتالي خرج باستنتاج سخيف، وهو أن القائل بالتشبيه جاهل بربه، وإن كان يعتمد في معرفة صفات ربه على كلام ربه وكلام رُسُل ربه، لأنه يخالف ظنون وأوهام أئمتهم ملاحدة الإغريق، وأنه لا يكون عالماً بربه، حتى يكفر بما ورد في القرآن والسنة عن صفات الله تعالى، ويؤمن بظنون وأوهام فلاسفة ملاحدة الإغريق!!

ثم استنتج أنه لا يمكن أن يكون من يخالف ملاحدة الإغريق رسول، لأنه بالنسبة له جاهل بربه، وبالتالي استنتج أن جميع هذه الأحاديث كذب وغير صحيحة ومدسوسة في كتب الحديث! ومن دسّها، لقد دسّها أئمة الحديث، الذين هم من نقل إليه جميع شرائع الإسلام!!

هذا هو موقف هؤلاء الزنادقة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فهي عندهم أكاذيب وأباطيل.

ولكن لما كان قولهم هذا قولاً ممجوجاً لا يقبله صاحب عقل صحيح وفطرة سليمة، عمدوا إلى التحايل في إسقاطها.

قال أبو بكر الخلال رحمه الله في كتابه السنة: "أخبرنا محمد بن علي الوراق، قال: ثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، قال: سمعت الحسن بن البزار، يقول: جاء رجل إلى المريسي، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أذاكر أصحاب الحديث، فكلما ذكروا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رددته. قال: يقولون: أنت كافر. قال: صدقوا. إذا ذكروا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فرددته، يقولون: أنت كافر. قال:

فكيف أصنع. قال: إذا ذكروا حديث النبي صلى الله عليه وسلم قل: صدقت، ثم اضربه بعلة، فقل: له علة" اهـ

وهذا دأب الجهمية المعطلة من المعتزلة والأشاعرة، منذ زمن المريسي وإلى يومنا هذا، إذا اعترضهم حديث ضربوه بعلة، حتى إذا لم يجدوا له علة، قالوا: حديث آحاد، ثم وضعوا قاعدة من تلقاء أنفسهم، يحتكمون إليها، ويحاكمون غيرهم إليها، وهي قولهم: بأن حديث الآحاد لا يفيد العلم، وليس قطعي الثبوت، مخالفين بذلك ما دل عليه القرآن والسنة، من ثبوت خبر الواحد العدل، وأن قوله يفيد العلم والعمل معاً.

## تناقض الأشاعرة في رد أو قبول أخبار الآحاد !

لم يكن موقف الأشاعرة من الأحاديث بأحسن حال من موقفهم من القرآن العظيم، ولا عجب، فإذا كان كلام الله تعالى لم يردعهم عن غيهم، فمن باب أولى أن الأحاديث لن تقوم بذلك

فلما اصطدم الأشاعرة بالأحاديث المتكاثرة التي جاءت بإثبات صفات الباري سبحانه، وتقرير توحيد الألوهية، وقعوا في مأزق كبير، لذلك كان لا بد من مخرج، أو لنقل حيلة يحتالون بها لرد هذه الأحاديث والتكذيب بها، والحيل دين يهود، بأسلوب يجعلهم في موضع بعيد عن اللوم، لذلك ابتدعوا القول: بأن حديث الآحاد لا يفيد العلم، وتعللوا بعدم الأمن من وضع الأحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم! ولذلك قالوا: لا نقبل سوى بالمتواتر من الأحاديث! ولكن هل هم حقا يخشون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل هم حقا ردوا أحاديث الآحاد صيانة لدين الله عز وجل؟!

الجواب: من خلال تاريخ المتكلمين – وخصوصا الأشاعرة – منذ نشأتهم وإلى اليوم، والتاريخ شاهد عليهم بأنهم من أكذب الخلق، وأنه لا ينافسهم في الكذب سوى الرافضة، كما سوف نثبت ذلك بالأدلة فيما سوف يأتي من أبواب إن شاء الله

ولكن الأشاعرة لما رأوا أن الأحاديث سوف تقف سدا منيعا في وجوههم، وشاهدا أخر على بطلان دينهم، بحثوا عن حيلة لرد هذه الأخبار، فيبدأون بالبحث عن علة في السند، فأي علة مهما كانت يسيرة، ولا قيمة لها عند رواة الحديث الأوائل، فإنهم يشهرونها، ويسقطون الخبر بها

## ولكن أكثر هذه الأخبار مروية بأسانيد صحيحة، فما المخرج؟

لما استعصت عليهم بعض الأخبار، ولم يجدوا مطعنا في سندها، خرجوا بحيلة جديدة، وهي أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم اليقيني، وعلى هذا فهي ليست بحجة، وبهذا ملصوا أنفسهم من الإلتزام بالأحاديث النبوية التي تخالف معتقدهم

فلما قيل لهم إذا اسقطنا أحاديث الأحاد أسقطنا الكثير من الأحكام الشرعية بل أكثرها لأنها مروية عن طريق أحاد! ظهروا بقاعدة جديدة وقالوا: أخبار الأحاد تقبل في العبادات والمعاملات والفضائل ولكن لا تقبل في العقائد، وعلى هذا زادوا في قاعدتهم السابقة قاعدة أخرى وهي: أنها تفيد العمل

ولا يوجد أي دليل شرعي على هذا التفريق الذي أحدثوه، سوى اللجاجة والكبر والتعصب للأهواء والأراء لأن أي حجة سوف يقدمونها لإثبات صحة الاحتجاج بأخبار الآحاد في العبادات والمعاملات والفضائل، سوف تكون حجة في صحة الاحتجاج بأخبار الآحاد في باب العقائد، وأي حجة سوف يقدمونها لإثبات عدم صحة الاحتجاج بأخبار الآحاد في باب العقائد، سوف تكون حجة في عدم صحة الاحتجاج بأخبار الآحاد في أبواب العبادات والمعاملات والفضائل، إذ كيف يعقل أن خبر الآحاد لا يفيد العلم وفي نفس الوقت يفيد العمل! هذا شيء عجيب!!

وهكذا هم أهل البدع والزيغ والضلال الذين يريدون أن يجيروا الدين لصالح معتقداتهم الفاسدة التي يستوردونها من الأمم الضالة فإنهم كثيرا ما يقعون في التناقضات والتخبطات من أجل تقرير تلك المعتقدات الفاسدة ويريدون بذلك التحايل على شرع الله لنقض دين الله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

والعجيب حقا أن الأشاعرة والماتريدية في الوقت الذين ينكرون الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد نجدهم يحتجون باحاديث الآحاد بل وبالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تؤيد بدعهم في التعطيل والشرك بالله تعالى مما يثبت أن هؤلاء الزنادقة إنما يريدون بشرطهم هذا – أعني ادعاءهم أن أحاديث الآحاد ليست بحجة في العقائد – دفع الأحاديث النبوية التي تعارض بدعهم وإفساد دين الإسلام.

## موقف الأشاعرة من رواة السنة

عندما يكون شخص ما يهوى شيئا ما، فيجد أن هناك شخص أخر يعترض طريقه في إتمام ما يهواه، فإن هذا يعكس حالة من الغضب عند صاحب الهوى، مما يجعله يقف موقفا عدائيا ممن يعترض طريقة، وهذا ما حصل بالضبط من بعض الأشاعرة، إن لم نقل كلهم، والحقيقة أننا لو قلنا كلهم لم نكن مخطئين، فإن كتبهم مشحونة بالتلميح أحيانا وبالتصريح أحيانا أخرى بوصف المحدثين مجرد مجموعة من البلداء البلهاء، الذين لا يحسنون انتقاء الأخبار، فيروون ما هب ودب، ولذلك يورن أنهم هم العلماء الفطاحلة الذي لا يشق لهم غبار، وأنهم قادرون على معرفة الصحيح من هذه الأخبار وضعيفها بمجرد النظر فقط، فعقلوهم التي أبت أن تتفق كما أوضحنا سابقا، بالنسبة لهم عندها القدرة المطلقة على معرفة ما يصح وما لا يصح دون النظر في إسناد الخبر، هكذا بكل بساطة، لكن أبى الله أن يفضح هؤلاء القوم، ويعطينا صورة واضحة وكافية عن ما يحصل في دهاليز الأشعرية، وموقفهم الحقيقي من رواة الحديث، ومن خلال ما سطره أحد كبار علماءهم!

فقد ذكر محمد بن أحمد القرطبي في كتابه التذكرة الذي حشاه بتأويلات الجهمية المعتزلة – وأنا لا أنصح بقراءة هذا الكتاب إلا للرد عليه – ما نصه: وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم وبصر ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبدالبر من قوله (الرحمن على العرش استوى) فذكرت له الحديث – أي حديث الجارية – فما كان منه إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن

رواته وبين أيدينا رطب نأكله فقلت له: الحديث صحيح خرجه ابن ماجه في السنن ولا ترد الأخبار بمثل هذا القول بل تتأول وتحمل على ما يلي من التأويل اهـ

إذا ومن خلال ما سبق نجد أن علناء الأشاعرة على قسمين:

وقسم متمسك بوصية المريسي وهو ردها بلطف كما هو حال القرطبي

وقسم يبطن العداوة لرواة الحديث لأن الذين روو الحديث غير ابن ماجه، مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والشافعي في رسالته ومالك في موطأة هؤلاء ملعونون عند هذا الملحد

وانظر إلى وصف القرطبي له، بأنه أحد أصحابه! وبأن له علم وبصر! مع ما قاله عن حديث الجارية ولعنه لرواته! وكيف أن ذاك الأشعري الملحد كذب بالحديث صراحة ورده بعنف لما كان بين أصحابه وإخوانه في دينه بل لعن رواته — وهم أئمة أهل السنة والجماعة والحديث والأثر - بينما في الظاهر، وأمام العامة، يتظاهر بتصديقه ويقول: سبيله التفويض

هذا الملحد الذي لم يجرئ القرطبي على ذكر اسمه تسترا عليه، ربما يكون هو أحد أبرز أعلام الأشاعرة، ومن له كتب مصنفة، ومن يصفه النوكى - ممن ينتسبون إلى مذهب أهل السنة والجماعة - بالإمام والحافظ والعالم وخدم الإسلام والسنة والزاهد التقي النقي الورع الذي لم يكن يبات الليل من كثرة قيامه وبكاءه!

ولو ذكر القرطبي اسمه، لم يغيّر هذا في موقفهم منه شيئا، ولقالوا: أخطأ عفا الله عنه، وكل خطاء، واجتهد وللمجتهد أجر! أجر على ماذا؟! أجر على التكذيب بالوحي وتحريف كلام الله ورسوله وفق علم الفلسفة اليوناني!!

وقد قال الرازي الضال في كتابه المطالب العالية، بعد أن كفر بالأحاديث الواردة في إثبات الصفات، وإقراره بأنها تواترت تواتراً لا يمكنه معه تأويلها، ما نصّه: "والعجب من هؤلاء المحدثين، أنهم يقولون: فلان متهم بالرفض، فلا تقبل روايته، ولم يقل أحد منهم: فلان مصرح بالتشبيه، فكان جاهلا بربه، فوجب أن لا تقبل روايته، لأن الطعن في أبي بكر وعمر، لا يزيد على الطعن في ذات الله تعالى وفي صفاته" اهـ

قلت: فانظر كيف يطعن في رواة السنة، ولعله لم يقرأ في كتب المحدثين أنهم قالوا أيضاً: فلان معطّل، فلا تقبل روايته! ولكنه أخفى قولهم هذا، ليموّه على أصحابه كما جرت عادته في التمويه.

ثم أي صفات أثبتها هذا الجهمي، حتى يقول أن مخالفيه طعنوا فيها، إن كان هو أصلاً، لا يرى أن يوصف الله تعالى إلا بالعلم، ويصف به شيئاً لا يراه موجوداً إلا في خياله فقط!

والطاعن في صفات الله تعالى، هو من يكذّب بما ورد في الكتب والسنة، مما ذكره الله تعالى من صفات كماله ونعوت جلاله، ويصفه بصفات العدم، تعالى الله ربنا عن قول هؤلاء المتكلمين الأفاكين علواً كبيرا.

هذه هي حقيقة موقف الأشاعرة من علماء السنة وأتباعها بل إنهم لا يقرؤون كتب السنة إلا للرد عليها وعلى رأسها كتب الشيخ ابن تيمية التي يحاربونها ليل نهار – مع أن الشيخ كان متساهل معهم بشدة ورفيق بهم بشدة حتى إنه قرر منهج الموازنات في الحكم عليهم مع أن منهج الموازنات كان منهجا مرفوضا من أئمة أهل السنة الذين سبقوه – فهم يصونون تلاميذهم عن قراءة كتب علماءنا حتى يحصنوهم

منا وعلماءنا مع الأسف ينشرون كتبهم ويحرضون الناس على قراءتها بزعمهم أن فيها فوائد لا يمكن الاستغناء عنها!

## افتراء الأشاعرة على الصحابة وأئمة السلف للتنفير من مذهب السنة في الصفات !

لما وجد الأشاعرة أنه ليس هناك نصوص من أئمة أهل السنة تسعفهم لتقرير بدعهم الكلامية التي استوردوها من فلاسفة الإغريق عمدوا إلى وضع الأخبار في ذلك على الصحابة وأئمة أهل السنة المتقدمين ولكنها أخبار بلى أسانيد ولولى أن الله تعالى حفظ لنا آثار الصحابة وأئمة أهل السنة بالأسانيد الصحيحة والمقبولة لربما انطلت أكاذيبهم على المسلمين وشاعت بين الناس.

فمن الأخبار التي وضعوها على الصحابة رضوان الله عليهم للتسويق لمذهبهم.

ما نسبوه إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث زعموا أنه قال: "سيرجعُ قومٌ من هذهِ الأمّةِ عندَ اقتراب السّاعةِ كفّارًا قال رجلٌ يا أميرَ المؤمنين كفرهم بماذا أبِالإحداثِ أم بالإنكارِ قال بل بالإنكارِ يُنكرونَ خالِقَهُم فيَصِفونهُ بالجِسمِ والأعضاءِ".

رواه ابن المعلم الأشعري المتوفى سنة خمس وعشرين وسبعمائة للهجرة في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي.

ولم يسبقه عليه أحد ولا يعرف في شيء من كتب الآثار وفوق كونه بلا سند فمتنه يدل على أنه كذب لأن الخوض في الأجسام والأعراض لم يحدث إلا بعد نهاية المائة الأولى وبعد أن تم ترجمة كتب الفلاسفة وتلقفها الجهمية والمعتزلة وخلفها عليهم الأشعرية والماتريدية وأما قبل ذلك فلم يكن المسلمون يخوضون في صفات الله تعالى بشيء البتّة

ومن الأخبار التي نسبوها إلى أئمة أهل السنة والجماعة

عن الإمام الشافعي قوله: من اعتقد أن الله جالس على العرش فهو كافر"

رواه ابن المعلم الأشعري أيضا في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي

وهذا الخبر لا يوجد في شيء من كتب الأخبار وليس له سند يعرف.

ومن أكاذيبهم على الإمام الشافعي رضي الله عنه قوله: "المجسم كافر"

رواه السيوطي الأشعري المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة في كتابه الأشباه والنظائر

وهذا الخبر لا يوجد في شيء من كتب الأخبار وليس له سند يعرف

الإمام أحمد بن حنبل قوله: "من قال الله جسم لا كالأجسام كفر"

رواه الزركشي الأشعري توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة في كتابه تشنيف المسامع

فهذه الأخبار ليس لها أسانيد ولم يروها رواة الحديث والآثر والسنة الأوائل مع حرصهم على تدوين آثار الأئمة وإنما ظهرت بعد القرن الثالث الهجري بقرون فكيف غفل عنها رواة الآثار مع حرصهم ولم يتفطن لها سوى هؤلاء الباطنيون والمصيبة أننا نعرض على الأشعرية اعتقاد أحمد والشافعي ومالك بالأسانيد الصحيحة والمقبولة فيعرضون عنها ويحتجون علينا بمثل هذه الأخبار الموضوعة المكذوبة فهذا إن دل على سوء نيتهم وخبث سريرتهم وإعراضهم عن الحق

بل تمادوا إلى وضع الكتب في عقيدة المتكلمين ونسبتها إلى أئمة أهل السنة فوضع أبو الفضل التميمي كتابا في عقيدة الأشعري وكتب على عنوانه عقيدة الإمام

أحمد بن حنبل ووجدت كتابا مخطوطا ليس عليه اسم مؤلف كتب على عنوانه عقيدة الإمام الشافعي وكلا الكتابين ليس لهما أي إسناد إلى الإمام أحمد بن حنبل أو الشافعي وهذا من فضل الله إذ لم يمكنهم من ذلك ليكشف كذبهم ويفضح دجلهم والحمد لله رب العالمين.

لذلك ليكن المسلم على حذر فأي خبر بلى سند أو أي كتاب بلى عمد فاعلم أنه موضوع وعليك بالأخبار المسندة والكتب الموثقة والله الهادي إلى سواء السبيل.

## مذهب الأشاعرة والمعتزلة هو سبب انتشار الإلحاد

وبسبب مخالفة مذهب الاشاعرة والمعتزلة للعقل والنقل معا، إضافة إلى مقلتهم في القرآن والسنة، وظنهم برواة السنة، ثم تعمد كبرائهم للكذب على أئمة السنة لشرعنة دينهم، كان دينهم سببا لإلحاد كثير من الناس، وخروجهم من الإسلام، منهم أبو العلاء المعري، الذي قيل بأنه ألحد، ظانا أن الإسلام هو ما عليه الأشاعرة، فارتد عنه وقال يهجو الأشعرية:

قلتم لنا خالق حكيم قلنا نعم كذا نقولُ

زعمتموه بلا زمان ولا مكان ألا فقولوا

هذا كلام له خبئ معناه ليست لنا عقولُ

ونجد أن البيئات المتعلمة المثقفة، التي كان الأشعرية قد تغلبوا عليها، هي أكثر بلاد الله التي ينتشر فيها الإلحاد والكفر، إذ أن العقول السليمة لا تستوعب ديناً كهذا، فيلجئون إلى الإلحاد والكفر والعياذ بالله، وهذا واقع في العراق ومصر والمغرب العربي، بينما البيئات التي يغلب عليها طابع البداوة، ينتشر بينها الشرك والخزعبلات والدروشة، ويغلب الجهل والغباوة على أهلها، كما هو حال جزيرة العرب وبادية مصر وليبيا والجزائر وتونس وبلاد السودان.

وانظر إلى حال المغرب الإسلامي، فما أن سيطر عليه الملاحدة أتباع محمد بن تومرت، حتى تفشى فيه الإلحاد والكفر والجهل والغباوة، وتفشى الشرك والخزعبلات والدروشة والشعوذة والشعبذة والسحر والكهانة والعرافة والتنجيم، وغير ذلك.

وذلك أن هذا المذهب يسعى ويجد لنشر الجهل في ثوب العلم، ويقدم الإلحاد والكفر بدثار الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

ومما يشهد على ذلك، ما قاله أبو الحسن الندوي في مذكرات سائح في الشرق العربي: "قال بهجت البيطار: حدّثني بعض علماء الأزهر قالوا: درسنا كتب التوحيد في الأزهر فنشأت في نفوسنا شكوك وشبهات وكدنا نخرج من الإسلام إلا أنّنا طالعنا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فغرست الإيمان في قلوبنا من جديد".

فهؤلاء عقلاء علماء الأزهر، لما درسوا توحيد الأشاعرة والمعتزلة، القائم على انكار صفات الله تعالى، وتشبيهه عز وجل وتقدس، بالمعدومات، ووصفه بصفات النقص، تعالى الله وتقدس، شكوا في الإسلام، وكادوا يخرجون منه، لاعتقادهم أن ما يقدم في الأزهر هو الإسلام، ولكنهم بعد أن قرأوا كتب الشيخ أحمد بن تيمية، وما فيها من إثباتٍ لصفات الله تعالى، ودعوة إلى توحيد الله تعالى بكمال صفاته وبربوبيته وألوهيته، عندها عرفوا الإسلام الحق، فرجعوا إليه، ولله الحمد والمنّة.

وهذا يصدّق ما رواه الذهبي عن ابن عقيل الحنبلي عندما قال: "قال ابن عقيل في الفنون: الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآي ، لأنهم يأنسون بالإثبات ، فمتى محونا ذلك من قلوبهم ، زالت الحشمة، فتهافتهم في التشبيه أحب إلينا من إغراقهم في التنزيه ، لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات ، فيخافون ويرجون ، والتنزيه يرمي بهم إلى النفي ، فلا طمع ولا مخافة في النفي ، ومن تدبر الشريعة ، رآها غامسة للمكلفين في التشبيه بالألفاظ الظاهرة التي لا يعطي ظاهرها سواه ، كقول الأعرابي: أو يضحك ربنا ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم فلم يكفهر لقوله ، تركه وما وقع له".

فمن هان الله ورسوله ودينهما عليه، هان عليه كل شيء، فلم يعد يأبه بالوقوع في المحرّمات، ولذلك تجد أن البيئات التي يسيطر عليها المذهب المعتزلي أو الأشعري، تنتشر فيه الزنا واللواط والسرقة والكذب، وكيف لا يكون ذلك، وهم قد وقعوا فيما هو أعظم منه!

فمما يروى في ذلك: ابن الأبّار ذاك الأشعري الصوفي القبوري، في كتابه الحلّة السِيراء، وهو يتحدث عن الملحدين، أتباع ابن تومرت، الذين يسمونهم: الموحّدين، ما نصه: "وَقد أُنْشِد بمجلسهم العلى للْقَاضِي أبي بكر بن الْعَرَبِيّ فِي مداعب لَهُ من فتيَان الملثمة هز رمحه عَلَيْهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَيْهِ:

يهزّ عليّ الرمح ظبيٌ مهفهف لعوبٌ بألباب البريَّة عابث

فلو كان رُمحاً واحداً لاتّقيته ولكنه رُمحٌ وثانٍ وثالث

كَذَا قَرَأت فِي ديوَان شعرهم أدام الله تأييد أَمرهم.

ثم قال ابن الأبّار: "وهما عِنْدِي للْقَاضِي أبي مُحَمَّد عبد الْحق بن غَالب بن عَطِيَّة أنشدنيهما القَاضِي أبو سُلَيْمَان دَاوُود ابْن سُلَيْمَان بن حوط الله الْأَنْصَارِيّ الْحَارِثِيّ بِمَدِينَة بلنسية" انتهى كلامه.

قلت: ولكن هذه القصيدة، حُرِّرَت في دواوين الملحدين على أنها لأبي بكر بن العربي، فنسبتها لأبن العربي من ناحية التوثيق، أوثق.

وإن لم تكونوا تعلمون من هو عبدالحق بن عطيّة، التي يقال بأن هذه الأبيات من نظمه، فهذا الرجل، هو صاحب التفسير الشهير بتفسير ابن عطيّة. وهو تفسير معتبر، عند المنتسبين للمدرسة السلفية!

وسواء كانت هذه الأبيات من نظم ابن العربي أو من نظم ابن عطيّة، ففي كلتا الحالتين، يبيّن لنا ذلك، حال هؤلاء المبتدعة الضلال من كهنة الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والصوفية والشيعة، واستهتارهم بالشريعة، واستهانتهم بالمبادئ والأخلاق الدينيّة، إلى درجة أنهم صاروا يتغزّلون بالغلمان.

وانظروا إلى ابن الأبّار الأشعري الصوفي، كيف أنه روى هذه الأبيات مستحسناً لها، ويصف المجالس التي تلقى فيها مثل هذه الأبيات القذرة بمجالس العُلى، فإن كانت مثل هذه المجالس مجالس علو ورِفعة، فما هي يا ترى مجالس الدُنُوِ والسَفَل؟!

وقال ابن كثير، في تاريخه البداية والنهاية، ما نصه: "فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء، والتجار والعوام والكتاب، والفقهاء والقضاة ونحوهم، إلا من عصم الله منهم". اهـ

وهذه شهادة من ابن كثير، في زمنه، بانتشار هذه العادات القبيحة بين كهنة الأشاعرة والمعتزلة، لأنهم كانوا في وقته، هم المسيطرون "بقوّة السلطان" على لمراكز الدينيّة.

مما يؤكد، أن الفساد الأخلاقي، صفة سائدة في أهل الأهواء والبدع، وأنهم لم يكونوا يستترون من ذلك، بل يتهاونون فيه، ويظهرونه، نعوذ بالله من حالهم.

وهي تعطي صورة واضحة، عن حقيقة ما يوصف به هؤلاء الزائغين، من الدين والتقوى والورع والزهد، هذه الأوصاف التي ينحلها لهم مؤرخوهم، وكُتّاب سِيَرِهم. وهؤلاء المؤرخين وكُتَّاب السِيَر، إنما يفعلون ذلك، لأسباب:

أولها: الانتصار لمذهبهم، وتقديم كبراء مذهبهم، على أنهم هم أهل الدين والتقوى والزهد والعبادة، وإن كانوا يعلمون أن علمائهم بخلاف ذلك تماماً، ولكنها العصبية الجاهليّة، وليرفعوا من خسيستهم، ويجعلونهم عظماء في نفوس العامة وطلّاب العِلم، فيقبلوا إليهم، ويجالسوهم، ويقعوا في شباكهم، حتى يتعلموا منهم الزندقة والفساد الأخلاقي، فيكون الناس شركاء لهم في هذا الفساد.

وثانيها: أنهم يتقرّبون بذلك لكبرائهم، ليتوصّلوا من خلالهم على منفعة من منافع الدنيا، من مال أو جاه.

وإذا كان هذا حال علماء القوم، فما بالك بسلاطينهم الذين يتقلدون مذهبهم، والدول التي تتبنى عقيدتهم، فالسلاطين لما أعطاهم الله تعالى من زخرف الحياة الدنيا، تجدهم يقبلون على ملذاتهم، فلا يقنعهم الحلال الذي أحلّه الله بهم، حتى يتجاوزوا ذلك إلى الوقوع في المحرمات.

وجميع الدول التي نشأت في زمن ضعف الدولة العباسية، كانت كلها تتبنى هذه المذاهب، بدأ بالبويهيّة ثم السلجوقيّة ثم الزنكيّة ثم الأيوبيّة والموحّديّة ثم المملوكيّة، فقد كانت تنتشر في هذه الدول حانات الخمر والحشيش، وكان سوق الدعارة قائماً، والزنا واللواط متفشّياً، نعوذ بالله من حال السوء.

ويقال أن يوسف بن أيوب، الذي يلقبونه بصلاح الدين الأيوبي، لما استولى على ملك مصر، وانفرد به، منع حانات الخمر والحشيش، لكن والده أيّوب أعادها بحجة

أنها مصدر من مصادر تمويل الدولة، من خلال ما يفرضونه عليها من ضرائب، ولم يمانع ابنه يوسف في ذلك، بل اقر والده على ذلك، وأعاد فتحها من جديد!

ومن قرأ تاريخ كيكاوس الجيلي وابن الأثير الجزري وابن إياس المصري وابن الحمصي وابن طولون الدمشقي وابن غلبون الليبي والجبرتي المصري، علِم ما بلغته تلك الدول التي أشرنا إليها، من السقوط الديني والأخلاقي، نسأل الله العافية.

وأما الظلم والجور في تلك الدول، فقد كان قد ضرب بجرانه فيها، فحقيقة تلك الدول أنها عبارة عن عصابات، يرأسها مجرم كبير، وهذا المجرم الكبير يتبعه مجرمون صغار، هم أشبه بقوّاد السرايا التابعين لقائد الجيش، فيقوم هذا القائد الكبير بإقطاع القواد الصغار أراضٍ من أراضيه، على أن يعينوه على احتلال أراضٍ أخرى وضمها لدولته، فيقوم هؤلاء القواد الصغار، بفرض ضرائب على من يقومون في الأراضي التي تم إقطاعهم إياها، لأنه يعتبر في هذه الحالة، مالكاً للأرض ومن عليها، فيفرض عليهم العشور، ليست عشور الزكاة، بل ضرائب تعود إلى خزينة هذا القائد، وهذه الضرائب، يقوم باقتسامها مع رجال عصابته، الذين يقاتلون معه، ويعينونه، وهذا ليس سوى سرقة لأموال الناس، فهذه العصابات، تتخذ من القتال وسيلة للكسب، وليس لأجل إعلاء كلمة الله تعالى، وإلا لما فرضوا هذه الضرائب أساساً!

ثم إن أكثر حروب هذه العصابات هي بين بعضها البعض، إذ لا يتوجه لحرب النصارى منها سوى اليسير، فهم يرون بعضهم أخطر على بعض من النصارى على الجميع!

وهذه الضرائب، غير الضرائب التي يتم أخذها من المسافرين والحجّاج، والتي يستخدم فيها أقذر الأساليب في نهب أموال المسافرين والحجّاج، فيقومون بإنزال جميع

ما مع الحجاج من حقائق وأزودة، ثم يقومون بتفتيشها تفتيشاً عميقاً، بحيث تستخدم مناخس ليقلّبوا بها الحقائق والمزاود، ثم يدر ذلك، ويتم أخذ العُشْر منه، هذا غير المعاملة السيئة التي كانت يتعرّض لها المسافرون والحجاج من عمّال أولئك السلاطين.

هذه الأمور كانت تقع في جميع الدول التي كانت تتبنى المذهب الأشعري والحلولي والصوفي، خصوصاً، بدأ من الدولة السلجوقية ثم الزنكية ثم الأيوبية والموحدية ثم المملوكية ثم العثمانية.

حتى قال الرحالة ابن جبير الأشعري الصوفي القبوري، والذي مرّ حاجاً على مصر والشام والحجاز، أن المسلمين الذين كانوا تحت ولاية النصارى بساحل الشام، في زمن يوسف بن أيوب، الذي يلقبونه بصلاح الدين الأيوبي، كانوا يأسفون لحال المسلمين الذين كانوا تحت ولاية يوسف بن أيوب، لما يلاقيه المسلمين تحت ولايته من الظلم والجور والعنت وفرض الضرائب الباهظة وسوء المعاملة، بينما كان المسلمون في المنطقة التي يحكمها النصارى، يتمتعون بالمعاملة الحسنة، واللين والرفق في المعاملة، فكان النصارى للناس خير من الأشعرية والحلولية والصوفية، وهذا يدل على شدة سوء هذه المذاهب ومعتنقيها.

ولو وردت هذه الشهادة التاريخية من مبغض للأيوبيين أو مبغض لمذهب المتكلمين، لوجدنا لهم مخرجاً، ولكن هذه الشهادة، وردت من محبٍّ ليوسف بن أيوب، وعلى دينه ومذهبه، وكان يعتذر ليوسف بن أيوب، بان هذا إنما يجري من العمّال، ولا شأن ليوسف بن أيوب بذلك! وهذا عذر باطل، لأن عمال الأيوبي، لن يفعلوا شيئاً دون أمر الأيوبي، فكانت محاولة ابن جبير في الاعتذار له، محاولة فاشلة.

ولكن مؤرخي المتكلمين وكتّاب سيرهم، لم يألوا جهداً في الثناء على سلاطين تلك الدول، ومحاولة تلميعهم، ووصفهم بجميع الصفات الحسنة، كل هذا لأجل أنهم على مذهبهم، فلو كانوا شياطيناً لقالوا عنهم بأنهم ملائكة!

ومن أراد المزيد، فليراجع التواريخ المذكورة.

ولهذا نجد المنتسبين من أتباع المدرسة السلفية، ربما عملوا مثلهم وحذوا حذوهم، لأنهم يتلقون العلم عنهم، ويقرأون سيرهم، فيقرأون أنهم كانوا زهاداً عباداً قائمون الليل بالقرآن، وفي نفس الوقت يقرأون أشعارهم الماجنة، وأحوالهم الساقطة، فيجتمع عندهم النقيضين، ويستقر في قلوبهم أن هذه الأحوال لا تتعارض مع بعضها وأنه يمكن للرجل أن يجمع بين العبادة والزهد وقيام الليل وقراءة القرآن، مع عدم امتناعه عن الوقوع في كبار الفواحش كالزنا واللواط والسرقة والرشوة، ونحو ذلك، وهذا جزاء من جالسهم وتلقى العلم عنهم وعظّمهم، نسأل الله العافية والسلامة.

## أوجه الشبه بين مذهب المعتزلة والأشاعرة في تعطيلهم للصفات

أعلم رحمك الله أن الأشاعرة، يظهرون التبرؤ من المعتزلة، لكي يصرفوا عنهم أحكام أئمة أهل السنة المتقدمين في المعتزلة، من تبديع وتكفير.

وسوف نقوم بعمل مقارنة بين هذه الفرق، ليتضح لطلبة العلم وسائر المسلمين، أنه لا فرق بينها، وأنهم لا يختلفون عن بعضهم في شيء، إلا في مسائل فرعية مما يختلف فيه أهل مذهبٍ واحد بينهم.

فمن أوجه الشبه بينهم:

أولها: تقديم العقل على النقل

بمعنى أن الحجة في العقل فقط ومعنى ذلك أن أي مسألة يجب أن تقاس بالعقل وأن أي آية تخالف هذا القياس العقلي يجب أن تأول بحيث لا تتعارض مع الأقيسة العقلية وأي حديث نبوي يخالف ذلك إما أن يؤوّل مثل الآيات أو يضرب بعلة حتى يسقط الاحتجاج به، وطبعا هذه الأقيسة، قائمة على قواعد وأسس، قعد لها وأسس لها ملاحدة الإغريق، وكما ذكرت سابقاً فإن المعتزلة والاشاعرة في هذا، يوافقون الملاحدة الدهرية الذين يجعلون العقل هو الحجة مطلقاً.

وثانيها: التعطيل

فتتفق هذ الفرق على التعطيل، وهو إنكار الصفات الذاتية والفعلية لله تعالى، إلّا أن الأشاعرة أثبتوا بعض الصفات فقط، وهم أخذوا التعطيل كما قدمنا أيضاً من

ملاحدة الإغريق، وظنونهم في تصورهم للذات الإلهية، بناء على ما استنتجوه من خلال حججهم العقلية المزعومة.

وثالثها: التأويل

حيث تتفق هذه الفرق، على اتخاذ التأويل طريقاً لنفي صفات الباري سبحانه وتعالى، فالتأويل في حقيقته ما هو إلا حيلة من حيلهم لنفي صفات الله تعالى، فهم لما أرادوا نفي صفات الله تعالى، اصطدموا بالآيات والأحاديث التي تصرح وبجلاء إثبات الصفات لله تعالى، فعمدوا إلى تأويل هذه الآيات بما يخالف ظاهرها، فيدعون أن ظاهر الصفات الواردة في القرآن والسنة غير مراد فأوجبوا تأويله بما لا يتعارض مع ظنونهم العقلية وفلسفتهم الإلحادية!

قال الإمام الترمذي في باب فضل الصدقة من جامعه: "وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا إن معنى اليد ههنا القوة" اهـ

قلت: فانظر إلى شدة الشبه بين الجهمية "المعتزلة" وبين الأشعرية فإن الأشعرية يتأولون اليد بالقوة والقدرة والنعمة ثم يأتي بعد هذا من يقول بأن الأشاعرة ليسوا من المعتزلة، ويحاول جاهداً أن يوجد فرقاً بين الطائفتين، ويُفرِّق في الحكم بينهما!

## لماذا كان أئمة أهل السنة يصفون الأشاعرة بإناث الجهمية ومخانيث المعتزلة؟

لما كان كلام السلف في الجهمية وضلال منهجهم وفساد عقائدهم لا يحتمل التأويل عمد الأشاعرة والماتريدية إلى التمويه والتدليس والتحايل لنشر عقيدة الجهمية بطريقة باطنية خبيثة ففي البدء تبرأوا ظاهرا من الجهمية وأدعوا نصرتهم للسنة وأنهم من أهلها ثم عملوا على نشر مذهب الجهمية بطريقة ملتوية فمن المسائل التي تحايلوا في نشرها بين المسلمين.

مسألة القول بخلق القرآن وما يتعلق بذلك من صفات كصفة العلم وصفة الكلام بحرف وصوت، فإن الجهمية صرحوا بأن جميع صفات الله مخلوقة ومنها الكلام والعلم وقالوا بأن الله لا يتكلم بحرف وصوت وأن كلامه مخلوق وأنه إذا شاء خلق كلامه تحدث في نفسه بما يشاء فيتخلّق الكلام وينطق بما حدث الله نفسه به وعلى هذا فالقرآن عندهم مخلوق فكل ما فعله الأشعرية أنهم أظهروا البراءة من هذا القول ثم قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق فوافقوا أهل السنة في الظاهر ثم رجعوا وقالوا أن كلام الله ليس بصوت ولكن حديث نفس وأنه معنى قائم في النفس لا يتجزء ولا يتبعض ولا يتعاقب لأن هذا حدث والحدث مخلوق ولا يصدر إلا عن مخلوق، ثم زعموا كذباً أن حديث النفس يطلق عليه كلام! وعلى هذا فالقرآن الذي بين أيدينا ليس كلام الله بل هو عبارة عنه فقط وأن كلام الله مجرد حديث نفس حدّث به نفسه فتخلّق الصوت ونطق بالقرآن فرجعوا إلى قول الجهمية سواء بسواء.

وهم إنما يريدون بذلك التحايل على المسلمين فإذا قيل أن أئمة أهل السنة كفروا من قال بخلق القرآن قالوا نحن لا نقول بخلق القرآن بل نقول القرآن كلام الله غير

مخلوق فإذا قيل لهم كلام الله بصوت قالوا لا بل هو كلام نفسي فإذا قيل لهم إن العرب لا تسمي حديث النفس كلام قالوا بل هو كلام ثم أشاعوا أن حديث النفس يوصف بأنه كلام وزادوا على ذلك إمعاناً في الغي إلى وضع أبيات نسبوها إلى بعض العرب لتحقيق هذه المقولة ولولى أن الله حفظ لغة العرب ومعانيها لالتبس على الناس حقيقة هذا القول ولظنوه حقاً لما زوروه من الأدلة ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ومن مسائل الجهمية التي تحايل الأشعرية على نشرها بين المسلمين مسألة علو الله تعالى على عرشه وبينونة من خلقه فإن الجهمية لما أظهروا إنكار علو الله على عرشه وفوقيته على خلقه وبينونة منهم وفسروا قوله تعالى (استوى على العرش) باستولى على العرش صرّح أئمة أهل السنة والجماعة بكفرهم لتكذيبهم للقرآن العظيم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فتظاهر الأشعرية بالبراءة من قول الجهمية ظاهرا وقالوا: نحن نثبت العلو، ولكنهم تأولوا علو الله بعلو القهر والغلبة وتحاشوا تفسير الجهمية باستولى حتى لا يتطابق مع تفسير الجهمية وإن كان تأويلهم استوى بالقهر والغلبة والسلطان يفضي إلى نفس معنى استولى ثم أشاعوا أن مراد أئمة أهل السنة هو إثبات علو الله بقهره وغلبته فقيل لهم قولكم هذا هو عين قول الجهمية فإن الجهمية لم ينكروا أن الله عالي علو قهر وغلبة وسلطان وإنما نفوا علو الذات ولهذا كفرهم أئمة أهل السنة تنكروا لهذا القول وزعموا أن أئمة أهل السنة موافقون لهم فيما ذهبوا إليه، مع أن جميع نصوص السلف تقطع ببطلان قولهم وكذبهم على السلف، كما سوف نبين إن شاء الله تعالى.

ولما قال الجهمية أن الله في كل مكان بذاته المقدسة تعالى الله عن قولهم وقال لهم أئمة أهل السنة إن قولكم هذا يفضي إلى أن الله حالّ في كل شيء في أطهر الأماكن وأنجسها والله يتعالى عن ذلك والقول بهذا كفر وإلحاد تعلم الأشاعرة من خطأ الجهمية لذلك احتالوا في إيجاد عقيدة تفكهم من هذا الإلزام ويوجدون بها فرقا بينهم وبين الجهمية حتى لا يقال عنهم بأنهم جهمية فخرجوا بعقيدة جديدة وهي أن الله بلى مكان وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا فوقه ولا تحته ولا يمينه ولا شماله فوصفوا الله تعالى بصفات العدم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وأما السمع والبصر، فبعضهم يصرح بأن السمع والبصر هو العلم، وبعضهم يتظاهر بإثبات السمع والبصر، وأنهما صفتان زائدتان على كونه عالما، إلا أنه عندما يفصل في معنى هاتين الصفتين يصف السمع والبصر بخصائص العلم!

قال الشيخ صالح سندي في كتابه إثبات الأشاعرة صفتي السمع والبصر لله تعالى: "والواقع أن من فصل في هذه القضية وصف السمع والبصر بخصائص العلم، فهذه الصفات الثلاث صفات ذاتية أزلية يحصل بها انكشاف الأشياء، وغاية ما هنالك أنه يحصل بالسمع والبصر انكشاف ؟أقوى من العلم إذن لا يعدو الأمر أن يكون إلا انكشافا أقوى من انكشاف وإدراكا أقوى من إدراك فأين الفرق الجوهري لو كانت صفات مختلفة في الحقيقة فما ذكروه قد يرد في الصفة الواحدة لاختلاف المتعلق أو نحو ذلك فيكون جانب منها أقوى من جانب كالعلم مثلا فالعلم الضروري أقوى من العلم المستفاد بعد استدلال وهكذا، فال الأمر عند التحقيق الى القول السابق بإرجاع السمع والبصر إلى معنى العلم لكن بمؤاربة وعلى استحياء" اهـ

وفي مسألة رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، نفاها الجهمية نفياً صريحاً، وحرفوا معنى الآية التي جاءت في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة، وما ورد في ذلك من أحاديث، فتظاهر الأشعرية بإثبات رؤية الله يوم القيامة، ولكنهم زعموا أن الله يرى بلا جهة ولا صورة، وقد علم أولي الألباب أن ما لا صورة له ولا جهة لا يمكن أن يرى، في الظاهر وافقوا السنة، وفي الباطن وافقوا الجهمية!

لذلك فهذا المذهب ما أُسِّس إلا للتحايل على العلماء وطلبة العلم، لتمرير مذهب الجهمية المعتزلة، لذلك أطلق عليهم علماء المسلمين، إناث الجهمية، لأن من شأن الإناث الاستتار.

وأما سبب وصفهم للأشاعرة بمخانيث المعتزلة، فهو لكونهم يريدون الجمع بين مذهب الجهمية الذين هم المعتزلة وبين مذهب أهل السنة، فجاءوا بمذهب هجين ليس بالمعتزلي وليس بالسني، ولذلك وصفهم أئمة أهل السنة بمخانيث المعتزلة، والمخنث في اللغة، هو ما جمع بين الضدين. والحقّ يقال: أنهم مخانيث اليهود والصابئة والنصارى، ذلك أنهم لم يأخذوا هذا القول أوّل الأمر، إلا من فلاسفة اليهود والصابئة والنصارى، فلما علموا أن هذا القول قول فلاسفة الإغريق ابتداءً شرعوا في تلقي هذا الدجل من كتب فلاسفة الإغريق.

فأما في أول أمرهم، فلم تخفى على علماء السنة حيلة الأشعرية، لذلك حاربوهم كما حاربوا إخوانهم الجهمية، ولكن مع تعاقب الأزمان وابتعاد الناس عن عصر النبوة، وتفشي الجهل وظهور الرؤوس الجهال، جاءت طائفة غرهم الأشعرية بما يتظاهرون به من أتباع السنة ونصرتها، وظنوا فيهم خيرا، فقربوهم بعد إبعاد، وتودد لهم

بعد التنافر، وتولوهم بعد البراءة، فنسأل الله أن يعصمنا من الزلل والخطل، فكم والله كانوا سببا في هلاك هالك، ولا يهلك إلا من علم الله أنه لا يفلح.

وكل الحق في هذه المسائل قد بيّنته في كتابي: صفات الله عز وجل بفهم العرب الأميّين الذين أنزل الوحيان بلغتهم، فليراجع، فإنه كتاب لم يكتب مثله في بابه.

## إقبال الأشاعرة والمعتزلة على تأليف الكتب في تفسير القرآن وشروح الحديث واللغة والتاريخ

إن الناظر في أحوال علماء المسلمين الأوائل، يجد أنهم مقبلون على جميع الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، والتابعين الأخيار، ودراسة أسانيدها ومتونها، ونخلها وتصفيتها كل بحسب قدرته وما أتاه الله من الذكاء والعقل والفطنة.

لذلك تجد كتب علماء المسلمين الأوائل، كلها كتب حديث، حتى فيما يردون به على أهل الأهواء والبدع، مثل الجهمية والمعتزلة والكلابية، أسلاف الأشاعرة والماتريدية، تجدهم يردون عليهم بالحجج الدامغات من القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة، التي لا يؤمن هؤلاء الملاحدة بها.

ثم صار التأليف شبه منقطع في المدرسة السنيّة السلفية، لعدم الحاجة في ذلك، ففي التفسير وفي العقائد والعبادات والمعاملات جمعت الأحاديث والآثار، وصنفت فيها الكتب، فلم يعد هناك حاجة لمزيد من التواليف، لذلك كان اقبال المدرسة السنية السلفية للتأليف ضعيف جداً، لعدم الحاجة إلى ذلك كما ذكرت سابقاً.

وهذا على النقيض تماما مما وقع من المتكلمين، فهم يقبلون وبنهم إلى تأليف الكتب في التفسير وفي شرح الحديث، حتى امتلأت رفوف المكتبات بتفاسيرهم وشروحاتهم، وهي معلومات مكررة في كل كتاب يقومون بتأليفه، ليس ثمة زيادات مهمة، وهذا الإقبال له أسبابه ودوافقعه، وهي:

أولها: حب الشهرة والظهور، بتصنيف هذه الكتب الموسوعية، والتباهي بذلك، فكل يريد أن يصنف كتابا يبقى شاهداً على غزارة علمه، وسعة معرفته، وإن تظاهر بخلاف ذلك!

وثانيها: الرغبة في تحريف نصوص الآيات والأحاديث، فأهل الكلام أدركوا أنه لا يمكن إفساد دين المسلمين إلا من خلال القرآن والسنة، وبما أن القرآن قد حفظ من الزيادة والنقصان، فقد هرعوا إلى تحريف معانيه، ويبقى لنص الظاهر المحفوظ، شاهد على كذبهم فيما حرفوا من معانيه، بينما السنة إما يقنعون القارئ بأنها ليست حجة، بإلقاء شبههم التي يشبهون بها على الأغمار، أو يحرفون معانيها كما حرفوا معاني كتاب الله تعالى.

لذلك كان السلف رضوان الله عليهم، لحرصهم على جناب التوحيد، وعلى حمى الشريعة، يحرمون مطالعة كتب هؤلاء القوم، ويأمرون بإتلافها، ويحرمون الجلوس إليهم، وتلقي العلم منهم، حتى هلك العلماء حقا وصدقا، ونشأت الرؤوس الجهال، فأفتوا بجواز مطالعة هذه الكتب، بل وحضوا عليها، وحسنوها لتلاميذهم، ورغبوهم في الجلوس إلى هؤلاء الضلال، لتلقي العلم عليهم، فأصاب الناس من ذلك شرٌّ عظيم، وهلك من تلاميذهم من لم يرد الله به خيرا.

## اعتراف الاشاعرة أن دينهم يقوم على أدلة عسرة المطلب عسرة الفهم

يقول العز بن عبد السلام، وهو من كبار مشايخهم، في كتابه قواعد الأحكام: "وكل ذلك مما لا يمكن تصويب للمجتهدين فيه بل الحق مع واحد منهم ، والباقون مخطئون خطأ معفوا عنه لمشقة الخروج منه والانفكاك عنه ، ولا سيما قول معتقد الجهة فإن اعتقاد موجود ليس بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به ، ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة ، ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم فلأجل هذه المشقة عفا الله عنها في حق العامي ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يلزم أحدا ممن أسلم على البحث عن ذلك بل كان يقرهم على ما يعلم أنه لا انفكاك لهم عنه ، وما زال الخلفاء الراشدون والعلماء المهتدون يقرون على ذلك مع علمهم بأن العامة لم يقفوا على الحق فيه ولم يهتدوا إليه ، وأجروا عليهم أحكام الإسلام من جواز المناكحات والتوارث والصلاة عليهم إذا ماتوا وتغسيلهم وتكفينهم وحملهم ودفنهم في مقابر المسلمين ، ولولا أن الله قد سامحهم بذلك وعفا عنه لعسر الانفصال منه ولما أجريت عليهم أحكام المسلمين بإجماع المسلمين ، ومن زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسم على الناس فإنهم لا يفهمون موجودا في غير جهة بخلاف الحلول فإنه لا يعم الابتلاء به ولا يخطر على قلب عاقل ولا يعفى عنه".

قلت: فهذا إقرار من شيخ من كبار مشايخهم، على أن دينهم "لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة، ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم"

وهذا الإقرار منه، من أعظم الأدلة على بطلان دين الأشاعرة والمعتزلة، فإن الإسلام دين واضح بيّن، كوضوح الشمس في رابعة النهار، دين سهل المأخذ، سهل التعلم، يفهمه الصبي في الكتاب، ويفهمه الأعرابي في البادية، والدليل على ذلك أنه نزل على أمة أميّة، ففهموه أجود الفهم، وعقلوه أعقل العقل، لم يحتاجوا إلى فلسفة متفلسف، ولا تشدقات متكلف، ولا تقعرات متحذلق.

## الأشاعرة يقرون بأن مذهبهم مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها ويكفرون أنفسهم وأهل ملتهم من حيث لا يشعرون

يقول العز بن عبد السلام، وهو من كبار كهنة الأشعرية، في كتابه قواعد الأحكام: "وكل ذلك مما لا يمكن تصويب للمجتهدين فيه بل الحق مع واحد منهم ، والباقون مخطئون خطأ معفوا عنه لمشقة الخروج منه والانفكاك عنه ، ولا سيما قول معتقد الجهة فإن اعتقاد موجود ليس بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به ، ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة ، ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم" .. الخ

فهو هنا يقرّر، أن أعتقاد الأشعرية والماتريدية لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقه في العادة – بمعنى أنه خلاف فطرة الإنسان – ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم".

ثم يقول بعد ذلك: "ومن زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسم على الناس فإنهم لا يفهمون موجودا في غير جهة بخلاف الحلول فإنه لا يعم الابتلاء به ولا يخطر على قلب عاقل ولا يعفى عنه".

وهو هنا يقرّر أن الحلولية كفار قولاً واحداً وبلا إعذار، والعلّة عنده، أن القول بالحلول لا يعم الابتلاء به ولا يخطر على قلب عاقل ولا يعفى عنه.

فإذا كانت هذه هي علّة كفر الحلولي عنده، فكيف لم يكفر نفسه وأهل ملّته وهو مقرّ ومعترف بأن مذهبه لا يختلف عن مذهب الحلولية في كونه مخالف للفطرة البشرية ولا يعم الابتلاء به ولا يخطر على قلب عاقل كما هو حال مذهب الحلولية!

فهنا نجد الأشعري يكفر نفسه وأهل ملته من حيث لا يشعر، وليس هذا بغريب لأن العقل من الله تعالى، ولو آتاه الله عقلاً ما وقع في هذا التناقض، ولا أقرّ على نفسه بهذا الإقرار.

## الأشاعرة يزعمون أن النبي (ص) لم يبيّن الحق للناس وبالتالي لم يبلّغ الرسالة!

"ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يلزم أحدا ممن أسلم على البحث عن ذلك بل كان يقرهم على ما يعلم أنه لا انفكاك لهم عنه، وما زال الخلفاء الراشدون والعلماء المهتدون يقرون على ذلك مع علمهم بأن العامة لم يقفوا على الحق فيه ولم يهتدوا إليه" إلى أخر هذيانه، من أخبره بأن النبي لم يلزم الناس بمعرفة موجود بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به، ولا داخل فيه ولا خارج عنه، وأين وجد النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقن كبار الصحابة هذا الهراء! وكيف لا يلزم النبي صلى الله عليه وسلم الناس بذلك، وهو عند الأشعرية من أصول الدين، بل من خالفهم فيه فهو كافر كفراً أكبر ينقل عن الملة!! فكيف تركهم النبي على اعتقادهم الكفر والعياذ بالله.

وهذا يثبت ما قاله عنه الشيخ ابن تيمية عندما قال عن العز بن عبدالسلام في كتابه الرد على المنطقيين: "وأبو محمد وأمثاله سلكوا مسلك الملاحدة الذين يقولون إن الرسول لم يبين الحق في باب التوحيد ولا بين للناس ما هو الأمر عليه في نفسه".

فابن عبدالسلام يدعي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى الناس تعتقد الكفر، فلا ينبهها على ذلك، ولا يبين لها الحق، حتى جاء هؤلاء المتكلمين الكاذبين على الله وعلى رسوله فبينوا للناس الحق بزعمهم! ولنا أن نتسائل: بما أن النبي والصحابة علموا هذا وسكتوا عنه بزعمكم فلماذا لم يسعكم ما وسعهم؟! وهل بلغكم أن النبي والصحابة كانوا يفتنون أحبار اليهود ورهبان النصارى – بحكم أنهم علماء – حتى يقروا بأن الله ليس في السماء وأنه بلا صفات، وأنه ال داخل العالم

ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا سكان ولا متحرك! وهل بلغكم أن النبي لما أراد عبدالله بن سلام أن يسلم أمتحنه بذلك؟

ثم انظر لمكابر ابن عبدالسلام والأشاعرة للحق، ففي الوقت الذي شهد النبي للجارية بالإيمان لأنها أقرت بأن ربها في السماء، تجد هؤلاء الملحدين، يزعمون أنه النبي كان يعلم أن قولها كفر! ولكنها سكت عنها وشهد لها بالإيمان لأن هذا ما تعقله وتفهمه، فنسبوا الغش للنبي صلى الله عليه وسلم، الذي غشّ الجارية بزعمهم، وشهد لها بالإيمان وهي بخلاف ذلك!

## تكفير الاشاعرة والمعتزلة لمن خالفهم في دينهم

سبق أن علمنا سابقا أن الأشاعرة والمعتزلة لم يأخذوا دينهم عن القرآن ولا عن السنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أخذوا معتقدهم من ملاحدة اليونان، وزعموا أن ما هم عليه هو الإسلام، الذي لا يقبل الله ديناً غيره، حتى أن بعضهم زعم أن من لم يعرف الله تعالى من خلال النظر، فليس بمسلم، فكفروا آباءهم وأقاربهم وجميع المسلمين، عالمهم وعاميهم ممن لم ينظر في أدلة وجود الله تبارك وتعالى، التي هي معلومة بالفطر، ولا يشك فيها إلا مكابر معاند!

فواعجبي منهم يخالفون القرآن والسنة، ويزعمون أنها ليست بهدى ولا حجة، وأن الأخذ بظاهرها كفر، ويقرون بأن دينهم إنما أخذوه بالحجج العقلية، وأن ما استنتجوه بعقولهم المتضاربة المتخبطة هو الإسلام، ثم يكفرونك إذا خالفتهم في ذلك.

ولذلك لا تعجب عندما أقول لك أن المتكلمين كانوا يكفرون بعضهم بعضا، فالمعتزلة كانوا يكفرون الأشاعرة والماتريدية، والأشاعرة والماتريدية يكفرون المعتزلة، ثم الأشاعرة يكفرون الماتريدية، والماتريدية يكفرون الأشاعرة، وكل طائفة تزعم أن حججها العقلية هي الصحيحة، وأن الآخرين خالفوا العقل وحججه!

ثم هم جميعا يكفرون من أخذ بالقرآن والسنة، وترك حججهم العقلية! فوالله الذي لا إله إلا هو ما رأيت أسخف عقولا من هؤلاء، ولا أبلد ذهناً، ولا أصفق وجهاً، ولا اجرأ على الله منهم!

وأنا أسوق الآن شيئا من فتاويهم في تكفير أهل القرآن والسنة.

قال أبو إسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ في كتابه اللمع ما نصه: "فمن اعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتسبين إلى الإمام أبي الحسن الاشعري رضي الله عنه فهو كافر ومن نسب إليهم غير ذلك فقد كفرهم فيكون كافرا بتكفيره لهم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما كفر رجل رجلا إلا باء به أحدهما".

قلت: انظروا إلى هذا الأحمق الشيرازي، يكفر بأحاديث الجهة لأنها أخبار آحاد لا تفيد بزعمه علما، ثم يحتج بحديث "ما كفر رجل رجلا إلا باء به أحدهما" وهو خبر آحاد، فلعن الله أدمغة حوتها رؤوسهم البلهاء!

وهذا الشيرازي هو الذي استأجر اليهود ليقبلوا يد القشيري، ليظهر للناس أنه إمام كبير، فيغر به العامة، فلا يوجد والله مبتدع إلا وهو سخيف الطبع، قليل العقل!

وقال أبو المعين النسفي الحنفي الماتريدي المتوفى سنة ٥٠٨هـ في كتابه تبصرة الأدلة: "والله تعالى نفى المماثلة بين ذاته وبين غيره من الأشياء، فيكون القول بإثبات المكان له ردًّا لهذا النص المحكم، أي قوله تعالى :(ليس كمثله شيء) الذي لا احتمال فيه لِوَجْهٍ ما سوى ظاهره، ورادُّ النص كافر، عصمنا الله عن ذلك" اهـ

قلت: انظر كيف أنه جعل من قوله تعالى: "ليس كمثله شيء" دليل على نفي الصفات مطلقا، وهذا كما قلت سابقا مجرد حيلة يحتالون بها، وإلا فهم يعلمون أن هذه الآية ليس لهم فيها حجة، ولكنهم لم يجدوا غيرها ليتشبثوا بها، ويتظاهرون بأن دينهم موافق للقرآن، وعلى حسب قوله، فإن العرب إذا قالوا "فلان ليس كمثله أحد" هذا يستلزم أنه لا يتشابه معهم في شي ءالبتّة، فليس له وجه ولا يدان ولا رجلان ولا عينان ولا شيء من ذلك، وهذا أمرعجيب!!

وقال أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ في كتابه الذي أسماه فتح الباري، وهو والله فتح إبليس الرجيم والله بريء منه، قال: "ولو قال من ينسب إلى التجسيم من اليهود: لا إله إلا الذي في السماء، لم يكن مؤمنا كذلك، إلا إن كان عاميا لا يفقه معنى التجسيم، فيكتفى منه بذلك كما في قصة الجارية".

وقال ابن نُجَيْم الحنفي الماتريدي المتوفى سنة ٩٧٠هـ في كتابه البحر الرائق، باب أحكام المرتدين: "ويكفربإثبات المكان لله تعالى، فإن قال: الله في السماء، فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر".

قلت: فوالله لا أعلم حقيقة ما معنى قوله " فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر" ؟ وهل ظاهر الأخبار إلا أن الله بذاته فوق عرشه فوق سماواته وأن عرشه هو مكانه الذي اصطفاه لنفسه، وقد قدمنا سابقا الكثير من الأخبار التي تثبت هذا المعنى، ولكن ما الحيلة في قوم يكذبون بالسنة وبظواهر القرآن!!

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي الأشعري المتوفى سنة ٩٧٤هـ في كتابه المنهاج القويم، وهو والله المنهاج المنحرف: "واعلم أن القَرَافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالكوأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم، وهم حقيقونبذلك" اهـ

قلت: هذه كتب ورسائل الإمام أحمد رضي الله عنه، وأصحابه، طافحة بالرد على نفاة العلو، وكلامهم في ذلك أشهر من أن يحاول هذا الفاجر التعتيم عليه، وقد ذكرناه سابقا، وكذلك أقوال الأئمة الثلاثة وأصحابهم، ممن لم يتلوث بعلم الكلام، بإثبات العلو مستفيضة في الكتب التي عنيت بنقل أقوال السلف ومذاهبهم، ككتاب: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي وغيرها، وعليه فنقل القرافي وتقليد الهيتمي له

عن الأئمة تكفيرهم من قال بالعلو كذبة باردة، يهزئ منها كل من عرف منهج أولئك الأئمة، وقد قيل: إذا كذبت فاكذب بما هو ممكن.

وقال ملاّعلي القاري الحنفي الماتريدي المتوفى سنة ١٠١٤هـ في كتابه مرقاة المفاتيح: "بل قال جمع منهم – أي: من السلف بزعمه – ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني" اهـ.

قلت: وهذا الهذيان أشبه بالذي قبله ، فالمشهور عن أبي الحسن الأشعري في (الإبانة) الذي أثبته له كبار أصحابه قوله بإثبات العلو وكذلك الباقلاني هو ممن يثبت العلو.

وقال عبد الغني النابلسي الحنفي الماتريدي المتوفى سنة ١١٤٣هـ في كتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني، وهو والله الفتح الشيطاني والفيض الإلحادي ما نصه :"وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها، وهي: التشبيه، والتعطيل، والتكذيب... وأما التشبيه: فهو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه، كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسمٌ فوق العرش، أو يعتقدون أن له يدَين بمعنى الجارحتين، وأن له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية، أو أنه نور يتصوره العقل، أو أنه في السماء، أو في جهة من الجهات الست ...." اهـ

وقال الكوثري جهمي العصر المتوفى سنة ١٣٧١ هـ : "إن القول بإثبات الجهة له تعالى كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نقل عنهم العراقي على ما في"شرح المشكاة" لعلي القاري" اهـ

قلت: فانظروا كيف أنهم دائما يسندون هذه الفتاوى إلى الأئمة الأربعة، بينما لا يأتون بنقل واحد صحيح عن الأئمة الأربعة في تكفير من نسب لله تعالى الحيز والجهة والمكان، وهذا من تلبيسهم وتمويههم، بينما سوف ترون كيف أننا سوف نأتي بالنقول عن السلف وعن الأئمة الأربعة في تكفيرهم، وإخراجهم من الملة إن شاء الله تعالى.

وأحسن الأشعرية حالا من حكى الخلاف في تكفيرهم ولم يقطع في الحكم عليهم بشيء، كما فعل أحمد بن عمر القرطبي في كتابه المفهم لما استشكل من تلخيص مسلم، ونقله عنه تلميذه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره الذي أسماه الجامع لأحكام القرآن.

حيث ذكر أحمد بن عمر القرطبي في الحكم عليهم من قبل علماء مذهبه أنهم اختلفوا فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم كفاروأنهم يقتلون من غير استتابة.

والثاني: أنهم كفار، وأنه لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور، ولكن يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا.

والثالث: الأدب البليغ كما أدب عمر بن الخطاب صبيغ بن عسل!

هذا مختصر ما ذكره القرطبي.

وزعم القرطبي أن مثبتي الصفات ممن يبحثون عن متشابه القرآن، ووصفه لهم بالمجسمة.

وقال أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، المتوفى سنة ٩٧٣هـ في كتابه الإعلام بقواطع الإسلام، وهو الإعلام بقواطع الإلحاد، قال: "لو قال الله في السماء فقيل يكفر وقيل لا يكفر".

فانظروا يا أيها العقلاء كيف أنهم مقرون بمخالفة القرآن، وتكذيب السنة، وأن دينهم الذي جاءوا به إنما هو من فلسفة الفلاسفة وتخرصات عقولهم، ثم يكفرون من يخالفهم في عدم الإقرار بها!!

وتذكر قول العز بن عبد السلام الأشعري وغيره من الأشاعرة، أن العوام ينزعون إلى الإثبات، أخذين بظواهر الآيات والأحاديث النبوية، مما ظهر من معانيها التي تعرفه العرب من كلامها، وقارنه بقول أحمد بن عمر القرطبي فيما نقله عن أهل ملته، من أن مثبت الصفات مجسم وأن المجسم يعبد صنما سماويا وعلى هذا فجميع العوام مجسمة يعبدون صنماً سماويا!

وانظر إلى قوله "لا فرق بينه وبين عابد الصور والأصنام" فهو جعل من يعبد رباً حيا قديرا عالما حكيما متحلياً بجميع صفات الكمال، كمن يعبد صنماً، لأنهما اتفقا على أن آلهتهما ذات لها صورة وحيز وجهة ومكان! ثم هو يصف ربه بأنه أبكم وأخرس ومشلول بل يصفه بجميع صفات العدم المحض، ثم يقول: هذا هو العقل والصواب والحكمة، بينما السلف كانوا يقولون: من يزعم أن الله لا يتكلم بصوت فهو يعبد صنماً، لأن الأصنام من صفاتها أنها بكماء، وبهذا احتج إبراهيم الخليل عليه السلام على قومه في عبادتهم لأصنام لا تنطق! ولكن هؤلاء الأشاعرة غافلون عن آيات الله تعالى، بل يدرون ولكنهم معرضون، لأنهم اشربوا في قلوبهم حب الفلسفة الإغريقية، فلا يرون ولا يسمعون ولا يؤمنون إلا بما صدر عنها ومنها!!

وانظر إلى قول القرطبي عندما زعم أن آيات الصفات من المتشابه، وأن من أثبت الصفات فهو مجسم، وأنه ممن يبحث عن متشابه القرآن بغيت تحريفه "هكذا يزعم" وأن حاله مثل حال صبيغ، الذي كان يبحث عن متشابه القرآن.

وكذب أحمد بن عمر القرطبي، فإن آيات الصفات ليست من المتشابه في شيء، وهل من المتشابه قوله تعالى: "وجاء ربك والملك صفا صفا"؟! أنت أيه القارئ الحكم في هذا، فلو جاءك أحدهم وقال: جاء زيد من السوق. هل سوف تقول: جاء أمره! هذا كلام فارغ، لا يتبادر إلى ذهن العربي مطلقاً، فكيف يزعمون أن قوله تعالى "وجاء ربك" أنه جاء أمره؟! بل ولا حتى العجمي الذي ترجم القرآن بلغته يفهم مثل هذا الفهم السقيم، وقس على هذا جميع آيات الصفات، وقد نقلنا سابقا قول أئمة الأشعرية في أن ظواهر القرآن تفيد إثبات الصفات، لذلك ينصون على أن القرآن ليس هدى في معرفة الله وصفاته، وأن الأحاديث التي وردت في هذا الباب يجب أن ترد وتكذب، فتبين من ذلك أن من يبحث عن المتشابه، ويعبث بمعاني القرآن الكريم، ويحرف معانيه، ويعمل عمل صبيغ ليس من أجرى هذه الآيات على ظواهرها، وفهم من معانيها ما تفهم العرب من معاني كلامها، وأساليبهم في الخطاب، بل هو من تحايل على النص، وزعم أن ظاهره غير مراد، وأنه يجب أن يفوض مع اعتقاد أن الله لا يتصف بشيء من هذه الصفات، أو يتأولها على غير ما ظهر من معانيها، ونكرر السؤال مجدداً: من الذي ألقى في روع الأشاعرة والمعتزلة أن الله لا يتصف بالصفات التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم؟! إن قالوا القرآن. قلنا: كذبتم هذا القرآن ظاهره يرد عليكم وبشهادة علماءكم، وإن قالوا السنة، قلنا: كذبتم هذه السنة مليئة بالأخبار التي تنقض دينكم، وأنتم تشهدون على ذلك، فمن أين

جئتم بهذا الدين، ومن أين جئتم بأن آيات الصفات من المتشابه؟ ومن ألقى في روعكم الإلحاد في صفات الله تعالى؟

وانظر أيضا إلى كذب أحمد بن عمر القرطبي عندما قال بأن مذهب السلف هو ترك التعرض لتأويلها – وهذا حق – ولكنه زاد من كيسه قوله "مع قطعهم باستحالة ظواهرها" وكذب، وكذب كل من يقول بقوله، هذه كتب أئمة السلف أحمد والشافعي ومالك وطبقتهم من علماء السنة والحديث والأثر كلهم مجمعون على إثبات الصفات وأن الله فوق سماواته فوق عرشه بائن من خلقه، بحد يحد بينه وبينهم، ودونوا ذلك في كتبهم، وبوبوا لها الأبواب في سننهم، وأن الله يتلكم بصوت يسمع، وبهذا جاء القرآن وجاءت الأحاديث والآثار.

وأحمد بن عمر القرطبي وتلميذه محمد بن أحمد القرطبي كلاهما محدثان ويعلمان هذا جيداً، ثم يأتي من يقول بكل وقاحة: أنهما معذوران لتفشي الجهل وغلبة البدع والخطأ والنسيان والتأويل وحسن النية والقصد إلى أخر هذه الأعذار التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

## تلاعب الأشاعرة في تفاسيرهم وشروحاتهم باللغة

لن أطيل في الشرح فقد كذبوا في معاني لغة العرب ووضعوا لها معان لا تتعارض مع عقائدهم الإلحادية مثل تأويلهم للأستواء بالاستيلاء والذي لاتعرفه العرب من كلامها مطلقا ووصعهم بعض الابيات المصنوعة للتأكيد على هذا المعنى.

ولكن سوف اضرب مثال على تلاعبهم في نواحي أخرى مثل قضية الحذف الذي يقع في كلام العرب.

يقول كهنة الأشاعرة في قوله تعالى (وجاء ربك) ان هذه الآية وقع فيها حذف تقديره (وجاء امر ربك)

وفي لغة العرب الحذف لا يقع الا اذا سبق الكلام المحذوف ما يدل على وقوع الحذف فيه أو كان هناك قرينة جليّة تثبت وقوع الحذف فيه.

مثال: إذا سأل سائلٌ: أين أحمد؟ فسيُجيب المسئول ويقول: ذهب الى السوق.

تقدير الجواب : ذهب أحمد الى السوق ولكن المجيب حذف اسم أحمد لدلالة الخطاب عليه.

فدل وجود الحذف في كلام المجيب ما سبقه من كلام السائل.

أما إذا لم يسبق الكلام ما يدل على وقوع الحذف فهذا يعني ان الكلام لم يقع فيه حذف.

قان اعترض ابله اشعري على ذلك قلنا له: افدنا كيف عرفت انه وقع حذف في قوله تعالى (وجاء ربك)؟

وأما القرينة الجلية التي تثبت وقوع الحذف في الشيء، كقوله تعالى: (واسأل القرية التي كنّا فيها) القرية هي البلدة فكيف تسأل، إنها لا تنطق لأنها جماد بالنسبة لنا، والجماد بالنسبة لنا لا ينطق معنا، وإن كانت الجمادات وضعها يختلف مع خالقها، فهي تنطق له إذا شاء وتسبح بحمده ولها حياة لا ندركها نحن البشر.

إذا ببديهة العقل المستمع - ودون أي تدخل خارجي أو توضيح من طرف أخر- يفهم مباشرة أن المراد أهل القرية، فالمتكلم حذف "أهل" لعدم الحاجة إليها ولكون سياق كلامه يدل عليها.

ولكن يا مسلمين، أي قرينة وقعت في قوله تعالى: (وجاء ربك) لنقطع بوجود حذف في الكلام؟! هل يعقل يا أحبه أننا عندما نقول "جاء أحمد وأصحابه" أن نظن مجرد ظن أن الذي جاء ليس أحمد وإنما أمر أحمد؟! هل يعقل هذا!

لكن الأشاعرة والمعتزلة يشبهون الله تعالى وتقدس بالعدم، فالعدم لا ينطق ولا يتحرك ولا تعتريه الإنفعالات النفسية، وعلى هذا فإذا جائت آية تذكر أن الله يأتي ويجيء ويتكلم ويشعر، أرجعوا هذه الآيات إلى أصلهم الفاسد الذي بنو عليهم دينهم في معرفة الله وصفاته.

فكما أننا تأولنا معنى قوله تعالى: "واسأل القرية التي كنا فيها" لأن القرية بالنسبة لنا جماد لا ينطق.

فكذلك هم تأولوا الآيات التي ورد فيها أن الله يجيء ويأتي ويتكلم، بناء على أنهم يعتقدون أن الله يتصف بصفات العدم، مما تلقوه عن افلاطون وارسطو، حيث قررا أن الله لا يتصف إلا بصفات السلوب، فهو لا صفات له ولا يتحرك ولا يجيء ولا يتكلم ولا يسم الأصوات ولا بصر المرئيات .. الخ فإذا قال الله في كتابه: (وجاء ربك والللك صفا صفا) قالوا: أفلاطون وأرسطو يقولان بأن الله لا يتحرك، وقول افلاطون وارسطو عندهم حق لا باطل فيه وصدق لا كذب فيه ويقين لا ظن فيها! فالمحكم عندهم هو قول أفلاطون وأرسطو، والمتشابه من القرآن ما خالف قول افلاطون وارسطو! فيردون المتشابه عندهم وهو كلام الله إلى المحكم عندهم وهو كلام ملاحدة اليونان! وبما أن وجاء ربك متشابه ظاهره يخالف ما قرره إمامهما أفلاطون وأرسطو، فعندئذ يعمدون إلى التأويل، ويقولون: هذا كلام ليس على ظاهره، وتأويله وجاء أمر ربك! فجعلوا الله تعالى وتقدس كالقرية وتأولوهما سواءً، تعالى الله علواً كبيراً عن إلحادهم وكفرهم.

ومتشابه القرآن لا يوزن بمثل هذا الميزان المنحرف، فمتشابه القرآن يبينه محكم القرآن، فإن لم يكن للآية ما يحيل معناها الظاهر من القرآن نفسه، فهي ليست من المتشابه بل هي محكمة، وكذلك سنة رسول الله إذا لم يكن فيها ما يبين معناها من السنة فهي على ظاهرها.

مثال: قوله تعالى: (نسو الله فنسيهم) النسيان في كلام العرب له معنيان: الترك أو فقد ذكر الشيء. فإذا رجعنا إلى القرآن نفسه، وجدنا الله يقول: (لا يضل ربي ولا ينسى) وهذه الآية لا يمكن حمل كلمة" ولا ينسى. على معنى الترك، بل على معنى فقد ذكر الشيء، فالله يقول أنا لا أفقد ذكر شيء، بحيث لا استرجع ذكراه، فعلمنا

بموجب هذه البية المحكمة، أن معنى قوله تعالى: (نسو الله فنسيهم) أي: تركوا الله فتركهم.

إذا فنحن نعلم متشابه القرآن من القرآن، ونفسره من القرآن ولا نخرج عن إطار الوحي في ذلك، والسنة مثل ذلك.

إذا فكلام العرب واضح حتى وإن وقع فيه حذف أو استعارة أو كان أمثلة أو غير ذلك القرآن واضح، وما أفسده إلا تفاسير هؤلاء الملاحدة المتكلمون قبحهم الله.

تنبيه: وأيم الله لو سلط الاشاعرة والماتريدية والمهتزلة علي القرآن لحرفوا نصوصه ولبدلوا عباراته وزادوا فيه ونقصوا ليتفق مع اهوائهم كما فعل اليهود النصارى من قبل ولكن الله حفظ كتابه ليكون حجة عليهم يوم القيامة.

## هل يوجد في القرآن الكريم آيات لا يعرف معناها سوى الله تعالى؟

لا يوجد شيء في القرآن اسمه: "متشابه لا يعرف معناه سوى الله" وهذه من حجج المفوضة ليشبه بها على الناس، لأن هذا القرآن إنما أنزل من أجل الناس، فأي حاجة لهم في كلام لا يعرف معناه سوى الله تعالى؟!

ثم إن كتابة كلام لقوم لا يفهم معناه إلا كاتبه عبث محض، والله تبارك وتعالى يتعالى عن العبث، ولكن أهل البدع قوم نزعت من قلوبهم عظمة الله، فصاروا ينسبون إليه كل نقيصة ليثبتوا أن مذهبهم صحيح.

بل حتى معنى المتشابه ينقض دعواهم من أسها، فالمتشابه من الكلام في لغة العرب، هو ما كان له معنيان فأكثر، فيشتبه على القارئ أو السامع المعنى المراد من الكلمة، لذلك سمّي متشابه، إذا المتشابه له معنى يفهمه القارئ أو الاسمع إذا تبين له، لا أن معناه لا يعلمه إلا الله تعالى!

وقد احتجوا على وجود المتشابه الذي لا يعلمه معناه إلا الله بقوله تعالى في المتشابه من آياته عز وجل:

(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)

وهذه الآية ليست حجة لهم، فإن قوله تعالى (والراسخون في العلم) تقرأ على الوجهين، فمعنى الآية: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم – ثم يقف ثم يستأنف ويقول: والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا.

وهذا مثل قوله تعالى في سورة البقرة (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) ففقوله (فيه) تقرأ على الوجهين، فتقدير الكلام: ذلك الكتاب لا ريب فيه - ثم يقف - ثم يستأنف ويقول: فيه هدى للمتقين.

فمعني الآية ان ما تشابه من القرآن يعلمه الله ومن انار الله بصيرته من أهل العلم ثم أهل العلم يؤمنون بمتشابهه ومحكمه لأنه كله كلام الله

ثم احتجوا على على وجود المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله بزعمهم البليد بالأحرف التي في أول السور (الم) (كهيعص) (حم) (ن) (ق) (ص) وقالوا هذا لم يعرف العلماء معناه فهو من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله وهذا باطل، فجهل العلماء بالمراد من هذه الأحرف لا يلغي معناها وفيه دليل على أن العلماء لا عصمة لهم وأنهم ليسوا آلهة ولا أنصاف آلهة ولا أنبياء معصومين،

وهذه الأحرف وردت لعلة، فهي قسم أقسم الله تعالى به، فقد أقسم الله تعالى بالأحرف التي تتركب منها كلمات القرآن، والله يقسم بما شاء من صفاته أو مخلوقاته ، فإن قال قائل: ما دليلك؟ فالجواب: أن هذه الأحرف لا تأتي إلا ويأتي بعدها جواب للقسم، فإن لم تكن هذه الأحرف هي القسم، فما هو القسم الذي جاء قبل جواب القسم الذي جاء بعد هذه الأحرف؟! لا يمكن أن يكون هناك جواب أبداً، ويلزم المخالف الإقرار بأن الأحرف المقطعات ماهي إلا قسم أقسم الله تعالى به، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنه، فيما رواه عنه الطبري.

وبهذا تنتفي شبهات هؤلاء الملحدين والحمد لله رب العالمين.

## من أعظم فِرى الأشاعرة على رب العالمين ! !

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه الذي أسماه "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ، نقلاً عن المدعو القاضي عياض - وهو صاحب كتاب ترتيب المدارك وغيرها من المؤلفات - في تحريفه لمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "فيأتيهم الله في صورة غير الصورة التي يعرفون" ما نصّه:

"ويحتمل وجها رابعا وهو أن المعنى يأتيهم الله بصورة أي بصفة تظهر لهم من الصور المخلوقة — التي لا تشبه صفة الإله — ليختبرهم بذلك ، فإذا قال لهم هذا الملك: أنا ربكم. ورأوا عليه من علامات المخلوقين ما يعلمون به أنه ليس ربهم استعاذوا منه لذلك"

انتهى كلامهما اخزاهما الله.

ففي هذا النص الذي ابتدعه داعية السبل الشيطانية المدعو عياض ونقله عنه مقررا له محتجا به ابن حجر العسقلاني في فتحه، يؤكدان على أن الكذب من صفات الله تعالى وتقدس عن قولهم الإفك علوا كبيرا !

فالله عندهم يأمر ملكاً من الملائكة أن يذهب إلى المسلمين والمنافقين يوم العرض ويقول لهم: أنا ربكم. أي: أن الله تعالى يأمر الملك بالكذب على الناس، فصار الكذب جائزاً على الله تعالى عندهم وصفة من صفاته أخزاهم الله.

كل هذا لكي يجدوا سبيلا لتحريف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي لو عرضته على أعرابي أو صبي لعمل معناه والمراد منه خير من هؤلاء الملاحدة الكذبة الفجرة.

فهؤلاء القوم لا توجد صفة كمال لله تعالى ثابتة لربنا عز وجل بالعقل الذي يحتجون به وهم كاذبون وبالنقل الذي هم عنه معرضون إلا ونفوها. ولا توجد صفة نقص قد ثبت في العقل قبل النقل وثبت بالنقل أنها منتفية عنه إلا ووصفوا الله بها، ثم يقولون : هذا تنزيه. وكذبوا لو أرادوا التنزيه لتمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يعرضوا عنها ولكنه الكفر الذي اشربته قلوبهم المريضة عياذاً بالله من الضلال!

هؤلاء هم الذين خدموا الإسلام والسنة؟ وهذه هي خدمتهم للإسلام والسنة؟

ونص الحديث الشريف الذي جاء في الصحاح:

عن أبي هريرة، قال: قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: " فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا

فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فأكون أول من يجيز.

رواه البخاري ومسلم.

وكما ترون وتسمعون فإن الحديث كان عن الله تعالى، فالصحابة يسألون النبي ويقولون: "هل نرى ربنا" فكان جواب النبي "نعم" بل أكّد لهم ذلك بأنهم سوف يرون ربهم كما يرون الشمس والقمر ليلة البدر ليس بينهما وبينهم سحاب .

ثم يقول النبي : " فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون" فالنبي يقول بأن الله هو من سوف يأتيهم، لم يقل ملك ولا مخلوق أخر!

هل يعقل في لغة العرب: أن يقال: أتى زيد، ثم يكون مراد القائل أن الذي أتى عبيد وليس زيد! هذا لا يكون لا في لغة العر بولا لغة العجم ولكنه يكون في لغة الملاحدة الكاذبين على الله وعلى رسوله مثل عياض وابن حجر العسقلاني. وأشباههم من الملاحدة المتزيين بزي الإسلام.

ثم يقول النبي : " فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون" إذا مرة أخرى الذي أتى إليهم هو الله وليس شيئا أخر، وفي صورته التي يعرفون، أي صورة كانت لله يعرفونها حتى يأتيهم الله فيها لكي يتعرفون عليه بها!!

إذا تأويل الحديث: أن الله يوم العرض، عندما يأتي إلى الأرض لفصل القضاء بين عباده، يتجلى لخلقه في صورة يرونه فيها، فعندئذ يصعقون لجلال الله فيكون أول من يفيق النبي صلى الله عليه وسلم فيرى موسى عليه السلام آخذا بقائمة من قوائم العرش، فلا يدري النبي هل أفاق موسى قبله أم أنه لم يصعق كونه صعق لجلال الله

عند الطور في الخبر المشهور، فإذا فصل الله بين العباد، وأمر كل طائفة باتباع آلهتهم التي كانوا يعبدون، يأتي هو سبحانه إلى المؤمنين وفيهم المنافقين، ولكنه يتجلى لهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة عند الحساب، فيسألهم ماذا تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا! فيقول: أنا ربكم. فلكونهم لم يعرفوه، يستعيذون منه، ويقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا! فيختفي عنهم، ثم يتجلى لهم في صورته التي رأوه عليها أول مرة، فإذا عرفوه خروا له سجداً إلا المنافقين تصير ظهورهم طبقا واحدا حرمانا لهم من السجود لله تعالى ، ثم يأمرهم باتباعه، فيقودهم على السراط، .. الخ

كلام النبي واضح جداً ومن أشد العبارات وضوحاً وبياناً وشفاءً لما في الصدور لمن أراد الشفاء.

ولكن الذين في قلوبهم مرض، لا يريدون كلام الله ولا كلام رسوله ولا لغة العرب، ولا شيء من ذلك، إنما يريدون الكفر يريدون دين أفلاطون وأرسطوا وجالينوس وملاحدة الإغريق.

الله ورسوله جاءا بدين لا يناسبهم، فضاقت صدورهم منه، وتعسر عليهم الخروج منه، فمزجوه بالإسلام، وحرفوا به القرآن وكذبوا به السنة.

ثم كفّروا أو بدّعوا من لم يقل بقولهم !!

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

هؤلاء وأمثالهم عند السلفية المعاصرة وهم في الحقيقة التلفية، علماء وحفاظ وأئمة وخدموا الإسلام والسنة، أعتقد حقا أن على السلفية أن يعالجوا عقولهم قبل أن يعالجوا دينهم لأن ما يقولونه لا يقوله ذو عقل .

وعن أم كلثوم بنت عقبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا او يقول خيرا" اهـ قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

رواه مسلم.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعد من فعل ذلك كذاباً، وليس ممن صفتهم الكذب، والله ورسوله لا يأمران بالكذب، فهل ادعائهم أن الله يأمر الملك بالكذب على الناس إحدى هذه المواضع الثلاث المذكورة في الحديث؟ الجواب: لا.

ثم إنه رخص في هذه المواضع للاضطرار، فهل الله تعالى مضطر للكذب "تعالى الله وتقدس" حتى يأمر الملك بالكذب على الناس؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

## إنكار الأشاعرة لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته!

كان قدماء الأشاعرة لا يستحون من إبراز بعض مذاهبهم الكفرية ظنا منهم أنها لا تقدح في المذهب فمن ذلك قولهم بأن النبي لم يعد نبيا بعد موته وسبب قولهم ذلك ظنهم أن العرض - والعرض كل ما هو مخلوق - لا يبقى زمانين! وهذه القاعدة لا دليل عليها من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هي ظنون جرهم إلى القول بها اللجاجة أثناء مناظرتهم للمعتزلة وهذه ثمرة مخالفت الكتاب والسنة عياذا بالله من هذا الضلال

قال أبو محمد ابن حزم الظاهري وهو من كبار أئمة الجهمية في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل: "حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب □ ليس هو الآن رسول الله □ ولكنه كان رسول الله □ وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه المسئلة قتله بالسم محمود ابن سبكتكين صاحب ما دون وراء النهر من خراسان رحمه الله وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله □ ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام مذ كان الإسلام إلى يوم القيامة وإنما حملهم على هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض والعرض يفنى أبداً ويحدث ولا يبقى وقتين فروح النبي □ عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته ونعوذ بالله من هذا القول فإنه كفر صراح لا ترداد فيه ويكفي من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر الله عز وجل به ورسوله □ واتفق عليه جميع أهل الإسلام من كل فرقة وكل نحلة

من الأذان في الصوامع كل يوم خمس مرات في كل قرية من شرق الأرض إلى غربها بأعلى أصواتهم قد قرنه الله تعالى بذكره أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله فعلى قول هؤلاء الموكلين إلى أنفسهم يكون الآذان كذباً ويكون من أمر به كاذباً وإنما كان يجب أن يكون الأذان على قولهم أشهد أن محمداً كان رسول الله وإلا فمن أخبر عن شيء كان وبطل أنه كائن الآن فهو كاذب فالأذان كذب على قولهم وهذا كفر مجرد" اهـ

وقال ابن خلدون أثناء حديثه عن الباقلاني على سبيل المدح والإطراء! في مقدمته: "وكثر أتباع الشّيخ أبي الحسن الأشعريّ واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره. وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلانيّ فتصدّر للإمامة في طريقتهم وهذّبها ووضع المقدّمات العقليّة الّتي تتوقّف عليها الأدلّة والأنظار وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء. وأنّ العرض لا يقوم بالعرض وأنّه لا يبقى زمانين. وأمثال ذلك ممّا تتوقّف عليه أدلّتهم" اهـ

وقال ابن قيّم الجوزية في كتابه الروح: "وَأما قَول من قَالَ مستقرها الْعَدَم الْمَحْض فَهَذَا قَول من قَالَ إِنَّهَا عرض من أَعْرَاض الْبدن وَهُوَ الْحَيَاة وَهَذَا قَول ابْن الباقلانى وَمن تبعه وَكَذَلِكَ قَالَ أبو الْهُذيْل العلاف النَّفس عرض من الْأَعْرَاض وَلم يُعينهُ بِأَنَّهُ الْحَيَاة كَمَا عينه ابْن الباقلانى ثمَّ قَالَ هِيَ عرض كَسَائِر أَعْرَاض الْجِسْم وَهَؤُلَاء عِنْدهم أَن الْجِسْم إذا مَاتَ عدمت روحه كَمَا تقدم وَسَائِر أعراضه الْمَشْرُوطَة بِالْحَيَاةِ وَمن يَقُول مِنْهُم أَن الْعرض لَا يبْقى زمانين كَمَا يَقُوله أَكثر الأشعرية فَمن قَوْلهم إِن روح الْإِنْسَان الْآن هِيَ غير روحه قبل وَهُوَ لَا يَنْفَكّ يحدث لَهُ روح ثمَّ تغير ثمَّ روح ثمَّ تغير هَكَذَا أبدا فيبدل لَهُ ألف روح فَأكْثر فِي مِقْدَار سَاعَة من الزَّمَان فَمَا دونهَا فَإِذا مَاتَ

فَلَا روح تصعد إِلَى السَّمَاء وتعود إِلَى الْقَبْر وتقبضها الْمَلَائِكَة ويستفتحون لَهَا أَبْوَاب السَّمَوَات وَلَا تنعم وَلَا تعذب وَإِنَّمَا ينعم ويعذب الْجَسَد إِذا شَاءَ الله تنعيمه أَو تعذيبه رد إِلَيْهِ الْحَيَاة فِي وَقت يُرِيد نعيمه أَو عَذَابه وَإِلَّا فَلَا أَرْوَاح هُنَاكَ قَائِمَة بِنَفسِهَا الْبَتَّةَ وَقَالَ بعض أَرْبَاب هَذَا القَوْل ترد الْحَيَاة إِلَى عجب الذَّنب فَهُوَ الَّذِي يعذب وينعم وَحسب وَهَذَا قَول يردهُ الْكتاب وَالسّنة وَإِجْمَاع الصَّحَابَة وأدلة الْعُقُول والفطن والفطرة وَهُوَ قَول من لم يعرف روحه فضلا عَن روح غَيره وَقد خَاطب الله سُبْحَانَهُ النَّفس بِالرُّجُوعِ وَالدُّخُول وَالْخُرُوج ودلت النُّصُوص الصَّحِيحَة للصريحة على أَنَّهَا تصعد وتنزل وتقبض وَتمسك وَترسل وتستفتح لَهَا أَبْوَاب السَّمَاء وتسجد وتتكلم وَأَنَّهَا تخرج تسيل كَمَا تسيل القطرة وتكفن وتحنط فِي أكفان الْجنَّة وَالنَّار وَأَن ملك الْمَوْت يَأْخُذهَا بِيَدِهِ ثمَّ تتناولها الْمَلَائِكَة من يَده ويشم لَهَا كأطيب نفحة مسك أَو أنتن جيفة وتشيع من سَمَاء إِلَى سَمَاء ثمَّ تُعَاد إِلَى الأَرْض مَعَ الْمَلَائِكَة وَأَنَّهَا إِذا خرجت تبعها الْبَصَر بِحَيْثُ يَرَاهَا وَهِي خَارِجَة وَدلّ الْقُرْآن على أَنَّهَا تنْتَقل من مَكَان إِلَى مَكَان حَتَّى تبلغ الْحُلْقُوم فِي حركتها وَجَمِيع مَا ذكرنَا من جمع الْأَدِلَّة الدَّالَّة على تلاقى الْأَرْوَاح وتعارفها وَأَنَّهَا أجناد مجندة إِلَى غير ذَلِك تبطل هَذَا القَوْل وَقد شَاهد النَّبِي الْأَرْوَاح لَيْلَة الْإِسْرَاء عَن يَمِين آدم وشماله وَأخبر النَّبِي إِن نسمَة الْمُؤمن طَائِر يعلق فِي شجر الْجنَّة وَأَن أَرْوَاح الشُّهَدَاء فِي حواصل طير خضر وَأخبر تَعَالَى عَن أَرْوَاح آل فِرْعَوْن أَنَّهَا تعرض على النَّار غدوا وعشيا وَلما أورد ذَلِك على ابْن الباقلانى لج فِي الْجَواب وَقَالَ يخرج على هَذَا أحد وَجْهَيْن إِمَّا بِأَن يوضع عرض من الْحَيَاة فِي أول جُزْء من أَجزَاء الْجِسْم وَإِمَّا أَن يخلق لتِلْك الْحَيَاة وَالنَّعِيم وَالْعَذَاب جَسَد آخر وَهَذَا قَول فِي غَايَة الْفساد من وُجُوه كَثِيرَة أَي قَول أفسد من قَول من يَجْعَل روح الْإِنْسَان عرضا من الْأَعْرَاض تتبدل كل سَاعَة الوفا من المرات فَإِذا فَارقه هَذَا الْعرض لم يكن بعد الْمُفَارقَة روح تنعم وَلَا

تعذب وَلَا تصعد وَلَا تنزل وَلَا تمسك وَلَا ترسل فَهَذَا قَولمخَالف لِلْعَقْلِ ونصوص الْكتاب وَالسّنة والفطرة وَهُوَ قَول من لم يعرف نَفسه .. وَهُوَ قَول لم يقل بِهِ أحد من سلف الْأمة وَلَا من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَلَا أَئِمَّة الْإِسْلَام" اهـ

وقال ابن طاهر: "وسمعت خادمه أحمد بن أميرجه يقول: حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير نظام الملك ، وكان أصحابنا كلفوه الخروج إليه ، وذلك بعد المحنة ورجوعه إلى وطنه من بلخ - يعني أنه كان قد غرب - قال : فلما دخل عليه أكرمه وبجله ، وكان هناك أئمة من الفريقين ، فاتفقوا على أن يسألوه بين يدي الوزير ، فقال العلوي الدبوسي : يأذن الشيخ الإمام أن أسأل ؟ قال : سل . قال : لم تلعن أبا الحسن الأشعري ؟ فسكت الشيخ ، وأطرق الوزير ، فلما كان بعد ساعة ؛ قال الوزير : أجبه . فقال : لا أعرف أبا الحسن ، وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء ، وأن القرآن في المصحف ، ويقول : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - اليوم ليس بنبي . ثم قام وانصرف فلم يمكن أحدا أن يتكلم من هيبته ، فقال الوزير للسائل : هذا أردتم ! أن نسمع ما كان يذكره بهراة بأذاننا ، وما عسى أن أفعل به ؟ ثم بعث إليه بصلة وخلع ، فلم يقبلها ، وسافر من فوره إلى هراة" انتهى

كل هذه الروايات تفيد بأن القول بأن العرض لا يبقى زمانين وأن النبي لم يعد نبيا بعد موته هو معتقد أصيل في المذهب الأشعري.

هذا ما كان يظهره متقدموهم، أما متأخروهم، فقد انقسموا حول هذه العقيدة إلى قسمين:

قسم لزم الصمت، فلم يبدي موافقة أو اعتراضا، وإن كان بعضهم أخذ يثني على هذه القاعدة الظنيّة الكاذبة، وهي قولهم: العرض لا يبقى زمانين، دون الإشارة إلى لوازمها من إنكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته.

وأظن أن السبب في ذلك، أنه لما ظهر قبح هذه المقالة وشناعتها، ولأن قلوب العامة من الناس تنفر منها، سكتت هذه عن المجاهرة بها وأهملوها مطلقاً، ولو كانوا ينكرونها لأنكروها في كتبهم.

ويدلك هذا على أن ابن خلدون وهو من متأخريهم ذكر أن من مناقب الباقلاني هو تقريره بأن العرض لا يبقى زمانين فجعلها منقبة من مناقبة التي يشكر عليها ويثنى عليه بها!

وانظر أيضا كيف أن ابن القيم ذكر ذلك عن الباقلاني ولم يتبرأ أحد من الأشاعرة في زمان ابن القيم من هذا القول أو استنكره بل سكتوا عنه فلم يردوه كل هذا يثبت أن القوم باقون على منهج أسلافهم في إنكار نبوة النبي محمد بعد موته وأنه اليوم ليس نبياً وإنما سكتوا عن التسويق لهذا الكفر مخافة أن ينفر الناس عنهم

وقسم استنكرها، وأعلن البراءة منها، وربما كان ذلك بسبب اختلاط الأشعرية بالصوفية، والصوفية عندهم غلو في النبي وآل بيته خاصة، وإن كان غلوا زائفا، أي: مجرد مشاعر وأحاسيس لا يتبعها اقتداء أو اهتداء، بل هو أشبه بالتظاهر والإدعاء، فلم يكونوا ليقبلوا هذا القول، زد على ذلك أن الأشاعرة المتصوفة كونهم أجازوا دعاء النبي من دون الله تعالى، كان يجب عليهم أن يلغوا هذا المعتقد، إذ لا يعقل أنهم سوف يتوجهون بالدعاء أو التوسل والاستشفاع برجل لم يعد نبيا، بل أصبح رجلا عاديا شأنه شأن أي رجل أخر، وقس على ذلك حال الأولياء والمشايخ، فيجب

إثبات الولاية لهم بعد موتهم، وإلّا فكيف سوف يأمرون الناس بإشراكهم مع الله! لذلك تم إقصاء هذه العقيدة عند الصوفية لحاجتهم لإثبات نبوّة النبي بعد موته، وإثبات الولاية لمشايخهم بعد موتهم، ليقرروا للناس الشرك بهم.

ولو سألتهم ما دليلكم على أن العرض لا يبقى زمانين لم تجد عند القوم دليلا فليس هناك نص في كتاب الله ولا سنة رسول الله ولا حتى بالأدلة العلميّة، على أن العرض لا يبقى زمانين وهم لا يعلمون الغيب، وإنما دفعهم لهذا القول وهذا الاعتقاد الجدل والمماراة وحب الظهور والغلبة والانتصار للنفس فابتدعوا هذه القاعدة الكاذبة وجعلوها دينا يدينون به للرد على خصومهم المعتزلة، فسبحان الذي أعمى بصائرهم!

## موقف الأشاعرة والمعتزلة من توحيد الربوبية والألوهية

التوحيد، كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة، ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو الإيمان بتفرد الله تبارك وتعالى بالملك والخلق والأمر والتدبير.

والقسام الثاني: توحيد الألوهية، وهو الإيمان بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون سائر خلقه.

والقسم الثالث: توحيد الصفات، وهو الإيمان بصفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، على ما تعرفه العرب من كلامها، ثم الإيمان بتفرد الله تبارك وتعالى بكمال تلك الصفات، الكمال المطلق الذي لا يستحقه إلّا هو سبحانه وتعالى، وأنه لا مثيل له في كمالها.

أما الأشاعرة والمعتزلة فلا يقرون إلا بتفرد الله تعالى بالملك والخلق فقط! بينما يزعمون أن لله تعالى شركاء في أمره وألوهيته، فيزعمون أن الأنبياء والأولياء، أمرهم نافذ في هذا الكون، وتدبيرهم يسري على كل جزء منه، ولذلك يزعمون أن الأنبياء والأولياء يملكون النفع والضر، بدعوى أن لهم عند الله منزلة عظيمة، تمنعه – تعالى وتقدس – من أن يرد لهم شفاعة، أو ينقض لهم أمرا، لذلك يجيزون إشراك الأنبياء والأولياء مع الله في ألوهيته، بإجازتهم لدعاء الأنبياء والأولياء من دون الله تعالى، ويزعمون أنهم وسائل ووسطاء وشفعاء لهم عند الله، وهذه العقيدة هي عين عقيدة مشركي العرب قبل الإسلام، لم يخرموا منها شيئا، سوى أن مشركي العرب قبل

الإسلام يتوسعون أكثر في تحديد هذه الوسائل، فقد كانوا يصرفونها أيضا للملائكة والأصنام والأوثان.

فلما قيل لهم: أن هذا هو ما وقع فيه مشركوا العرب قبل الإسلام، وهو تشابه واضح جلي، عمدوا إلى الحيلة لنصرة دينهم، فقالوا: أن صرف الدعاء والاستغاثة لغير الله تعالى، لا يكون عبادة، بل يقول بعضهم: أنه لا يشتبه بالعبادة أصلا! إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية والألوهية فيمن دعي واستغيث به من دون الله! وهذا مكر منهم لا يحيق إلا بهم، فإن الخمر سوف يبقى خمرا وإن أسميته بغير اسمه، والسرقة سوف تبقى سرقة وإن أسميتها بغير اسمها، وكذا العبودية سوف تبقى عبودية وإن اسميتها بغير اسمها.

والله تبارك وتعالى أخبرنا بأن اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله تعالى مع أنهم لم يقولوا عنهم بأنهم أربابا، ولكن مجرد الفعل الذي وقع منهم، وهو طاعة أحبارهم ورهبانهم فيما خالف أمر الله تعالى، كان هذا كافيا للحكم عليهم بأنهم أتخذوهم أربابا، فكذلك من دعا الأنبياء والأولياء من دون الله تعالى، واستغاث بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهو ممن اتخذهم آلهة، وإن لم يصفهم بالألوهية.

إلا أن بعض الأشعرية، وهم قلّة، شذ عن هذه القاعدة، وأقر بتوحيد الربوبية والألوهية كاملا، وإن كان لا يزال منحرفا، في باب توحيد الصفات.

## الأشاعرة والمعتزلة هم سبب وقوع الصوفية في الشرك

وذلك أن المعتزلة، زعموا أن الله في كل مكان، وأنه — تعالى وتقدس - حالّ ومتحد مع خلقه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا، وبالتالي فإن الله هو الوجود، والوجود هو الله، فبالنسبة لهم، أي شيء سوف تقوم بعبادته، هو في الحقيقة عبادة لله تعالى، فليس ثمة شيء في الوجود إلا هو، وهو هذا الوجود، وهذا المعتقد هو مشابه لمعتقد المجوس والزردشتية والبوذية والهندوسية، مما يدل على أن مشرب تلك الديانات واحد، وهي الفلسفة اليونانية الأفلاطونية.

ومن هنا نشأت فكره "وحدة الأديان" فبالنسبة للصوفي المعتزلي، الأديان مجرد رموز ترمز للإيمان فقط، فكل الطرق عندهم تؤدي إلى الله، وبالتالي كل ديانة تدين بها، أو عبادة تؤديها، هي ديانة وعبادة صحيحة!!

بينما الأشاعرة، لما زعموا أن الأنبياء والأولياء شركاء لله في أمره، وطبعاً هم لا يصرحون بهذه الشراكة، وإنما يقولون: بأن الأنبياء والأولياء لهم مكانة عند الله تعالى، ويزعمون أنهم قوم تلبسوا بالخطايا والآثام، فلا ينبغي أن يخاطبوا الله تعالى مباشرة، بل يخاطبونه من خلال الوسائط والشفعاء والوسائل، التي منحها الله مكانة سامية، ومنزلة عظيمة عنده، بحيث — حسب اعتقاد الأشاعرة — لا يرد لهم شفاعة، ولا ينقض لهم أمراً، فيصرفون الدعاء والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة لهم، وهم — أي: الأنبياء والأولياء - يقومون بدعاء الله لهم، والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة بالله، فيقوم الله تبارك وتعالى باستجابة دعاء واستغاثة واستعانة واستعاذة الأنبياء والأولياء، بحكم المنزلة العظيمة التي لهم عنده، وقضاء حوائج الناس!!

وأنت لو استعرضت ملة مشركي العرب قبل الإسلام، لم تجد بينهما فارق كبير في هذا الباب، إلا أن مشركي العرب يتوسعون في مفهوم هؤلاء الشركاء، فيعبدون الحجر والشجر والملائكة والجن.

فلما امتزج الصوفية بالجهمية "المعتزلة" والأشاعرة، دخلهم الإلحاد والشرك، بعد أن كانوا عبارة عن مجموعة من الزهاد المتقشفين المعرضين عن زهرة الحياة الدنيا!

## فتن أهل الكلام التي أثاروها عبر التاريخ لحرب الإسلام والسنّة ونشر بدعهم وضلالاتهم

لقد أوقع الجهمية بشقيها المعتزلي والأشعري الكثير من الفتن على مرّ التاريخ، بهدف الدعوة لدينهم المستورد من فلاسفة الإغريق، وأيضاً للقضاء على أي دعوة تحاول إعادة الناس إلى الطريق المستقيم، وإلى هدي الكتاب والسنّة، وقد جمعت ما تيسّر لي منها في هذا البحث.

فتنة القول بخلق القرآن

وهي أول فتنة أوقعها المتكلمون

كان أهل الحديث، والذين عرفوا فيما بعد بأهل السنة والجماعة، هم المسيطرون على المشهد الديني، عند العامة والخاص، وكان كل من يخالفهم يعد مبتدعا ضالا، مقموعا مقبوحا، لذلك لم يكن لدعوة المعتزلة أثر يرجى بين العامة أو الخاصة.

لذلك سعى المعتزلة لفرض دينهم بالقوة، وقد علموا أنه لا يمكنهم من ذلك إلا بقوة السلطان، فاتصل أحدهم، وهو الشقي أحمد بن أبي دؤاد بالمأمون فقربه منه، وأعجب به، فإنه كان صاحب منطق حسن، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ما روي عنه من الحديث: "أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" انتهى

فكان أحمد بن دؤاد هذا مستشار المأمون، فحسن للمأمون الاعتزال، وقرب المعتزلة، ومنهم: بشر بن غياث المريسي (ت ٢١٨هـ) ومحمد بن الجهم الناجي (عاش

في النصف الأول من القرن الثالث الهجري) ومحمد بن عيسى الشهير ببرغوث (ت ٢٤٠هـ وقيل: ٢٤١هـ) فصاروا بطانة المأمون وخاصته، وأقنعوه بفرض الاعتزال على العامة والخاصة، وأن يمتحن الناس على ذلك، فامتحنوا الناس على القول بخلق القرآن، كوسيلة لنفي باقي صفات الله تعالى، ومنها العلم والكلام، فجرى بسببهم فتنة عظيمة، وهي أول فتن المتكلمين في الإسلام.

قال الشيخ عبدالعزيز الكناني في كتابه الحيدة: "وكان الناس في ذلك الزمان وذلك الوقت في أمر عظيم، قد منع الفقهاء والمحدثون والمذكرون والداعون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غير هما من سائر المواضع، إلا بشر المريسي وابن الجهم، ومن كان موافقا لهما على مذهبهما، فإنهم كانوا يقعدون يجتمع الناس إليهم، فيعلمونهم الكفر والضلال، وكل منأظهر مخالفتهم، وذم مذهبهم، أو اتهم بذلك أحضر، فإن وافقهم ودخل في كفرهم، وأجابهم إلى ما يدعونه إليه وإلا قتلوه سرا، وحملوه من بلد إلى بلد، فكم من قتيل لم تعلم به، وكم فين مضروب قد ظهر أمره وكم ممن قد أجابهم واتبعهم على قولهم من العلماء خوفا على أنفسهم لما عرضوا على السيف والقتل أجابوا كرها، وفارقوا الحق عيانا، وهم يعلمون لما حذروا، من بأسهم والوقوع بهم." اهـ

وقد وافقهم المأمون على ما أرادوا، لما سبق في علم الله تعالى أنه لا يفلح، فطلب أئمة أهل الحديث، وأمر بالقبض عليهم، وإجبارهم على القول بخلق القرآن، فمنهم من أجاب مكرها، ومنهم من أبى، فكان ممن أبى الإمام أحمد بن حنبل (ت سنة ٢٤١هـ) فكاد أن يستبيح الخائن دمه، فهلك قبل أن ينال مراده.

فلما هلك المأمون، وتقلد أخوه المعتصم مقاليد الخلافة، حرضه أولئك الأوباش على الاستمرار في المحنة، وعلى امتحان الإمام أحمد خاصة، فاستخرجه وجرت بين الإمام وبينهم مناظرات، ذكرها ابنه القاضي صالح بن أحمد بن حنبل في كتاب "محنة الإمام أحمد بن حنبل" وابن عمه حنبل بن إسحاق بن حنبل في كتابه "محنة الإمام أحمد بن حنبل" ولم يكن للمعتصم فيها هم إلا أن يقبل الإمام أحمد قولهم، دون النظر في الأدلة، أو حجة من كتاب أو سنة، فلما أصر الإمام أحمد على الثبات، أمر به فجلد حتى كاد أن يهلك، ثم أخرجه وأمره بلزوم داره، وأن لا يدخل عليه أحد ولا يخرج إلى أحد، فمكث على هذا الحال حتى هلك المعتصم، وتقلد الخلافة بعد الواثق، فاستمر الإمام أحمد مسجونا في داره، واستمر الواثق في امتحان الناس، فضاق أئمة أهل الحديث بهذه المحنة ذرعا، ورأوا أنه لا خلاص لهم إلا بالخروج على الواثق، لعل الله أن يمكنهم منه، فيخلعونه ويستبدلونه بمن هو خير للمسلمين، وكان الداعي إلى ذلك هو الإمام أحمد بن نصر الخزاعي، لكن الله لم يشأ ذلك، فتم القبض على الإمام أحمد بن نصر، وقتله الواثق بيده، سنة ٢٣١ للهجرة، رحمه الله رحمة واسعة، ولعن الله قاتله لعنة تدخله قعر جهنم، هو ومن لقنه الكفر والإلحاد، ومن سار على نهجه ونهج أصحابه إلى يوم الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثم رفع الواثق المحنة، وكان سبب رفع المحنة، فيما روي مختصرا، أنه استقدم رجل من أهل الحديث مخضوب اللحية، فأمر الواثق أحمد بن أبي دؤاد أن يكلمه، فقال له أحمد بن أبي دؤاد: يا شيخ ما تقول في القرآن؟ فقال الشيخ للواثق: لم ينصفني ولي السؤال. قال: سل. قال الشيخ: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. قال الشيخ: هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه؟ قال: شيء لم يعلموه. فقال الشيخ: سبحان الله شيء لم يعلمه النبي صلى

الله عليه وسلم علمته أنت! فخجل أحمد بن أبي دؤاد، وقال: أقلني. قال الشيخ: المسألة بحالها. فقال أحمد: نعم علموه. فقال الشيخ: علموه ولم يدعوا الناس إليه؟ قال: نعم. قال الشيخ: أفلا وسعك ما وسعهم! فقام الواثق فدخل مجلسا واستلقى وهو يقول: شيء لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولا الخلفاء الراشدون علمته أنت سبحان الله! شيء علموه ولم يدعوا الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم! ثم أمر برفع قيوده، وأن يعطى أربع مئة دينار، ويؤذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعدها أحدا.

فلما هلك الواثق، وتولى المتوكل على الله مقاليد الحكم، نصر الله به السنة، وقمع الله به المعتزلة، وطفئت به نار الإلحاد والكفر والعناد، واستنارت البلاد والعباد، فرجع المعتزلة إلى جحورهم، مقموعين مقبوحين مخذولين، والحمد لله رب العالمين.

محنة الإمام أبي يعلى الفراء

وهي ثاني فتنة أوقعها المتكلمون

قال أبو الحسين بن أبي يعلى الحنبلي: "وقد كان حضر الوالد السعيد قدس الله روحه في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة في دار الخلافة في أيام القائم بأمر الله رضوان الله عليه مع الجم الغفير والعدد الكثير من أهل العلم وكان صحبته الشيخ الزاهد أبو الحسن القزويني لفساد قول جرى من المخالفين لما شاع قراءة كتاب " إبطال التأويلات " فخرج إلى الوالد السعيد من الإمام القائم بأمر الله رضوان الله عليهم: الاعتقاد القادري في ذلك بما يعتقد الوالد السعيد، وكان قبل ذلك قد التمس منه حمل كتاب " إبطال التأويلات " ليتأمل فأعيد إلى الوالد وشكر له تصانيفه، وذكر بعض أصحاب الوالد السعيد: أنه كان حاضرا في ذلك اليوم قال: رأيت قارىء التوقيع

الخارج من القائم بأمر الله رضوان الله عليه قائما على قدميه والموافق والمخالف بين يديه ثم أخذت في تلك الصحيفة خطوط الحاضرين من أهل العلم والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وجعلت كالشرط المشروط، فأول من كتب: الشيخ الزاهد القزويني: هذا قول أهل السنة وهو اعتقادي وعليه اعتمادي ثم كتب الوالد السعيد بعده وكتب القاضي أبو الطيب الطبري وأعيان الفقهاء من بين موافق ومخالف، فبلغني: أن أبا القاسم عبد القادر بن يوسف قال بعد خروجه عن ذلك المجلس روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة" فلما أرادوا النهوض من ذلك المجلس: التفت ابن القزويني الزاهد إلى الوالد السعيد فقال له: كما في نفسك؟ فقال له الوالد السعيد: الحمد لله على ما تفضل به من إظهار الحق، فقال له ابن القزويني الزاهد: لا أقنع بهذا وأنا أحضر بجامع المنصور وأملي أحاديث الصفات فحضر القزويني الزاهد جمعا مترادفات بجامع المنصور وأملى أخبار الصفات ناصرا لما سطره الوالد السعيد، ثم توفي ابن القزويني ليلة الأحد الخامس من شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وصلى عليه بين الحربية والعتابيين مما يلي الخندق وحضره عالم كثير وجرى تشغيب بين أصحابنا وبين المخالفين لنا في الفروع، فحضر الوالد السعيد سنة خسس وأربعين في دار الخلافة مجلس أبي القاسم علي بن الحسن رئيس الرؤساء ومعه جم غفير وعدد كثير من شيوخ الفقهاء وأماثل أهل الدين والدنيا، فقال رئيس الرؤساء في ذلك اليوم على رؤوس الأشهاد: القرآن كلام الله وأخبار الصفات تمر كما جاءت وأصلح بين الفريقين ففاز الوالد السعيد بخير الدارين إن شاء الله، ولو تتبعنا هذه المقامات لطالت الحكايات" اهـ

قلت: و إعلانهم هذا، هو رد على الأشعرية، و إن لم يسمها، فقولهم إن القرآن الكريم كلام الله، يعني إنه ليس هو حكاية و لا عبارة عنه، على حد قول الأشعرية، و

قولهم: "إن أخبار الصفات تمر كما جاءت" يعني إنها لا تؤول على طريقة الأشاعرة، و إنما تثبت على ظاهرها بلا تشبيه. ويتضح أيضا أن الأشاعرة لم يرضوا بهذا الصلح، لكنهم أجبروا على قبوله و التظاهر به، لأن الاجتماع لم يكن في صالحهم و ردٌّ عليهم، فإن الحكام كانوا يطالبونهم بالرد إلى الكتاب والسنة، وهم لا يملكون دليلاً من الكتاب والسنة، بل الكتاب والسنة مليئة بالآيات والأحاديث التي جاء فيها إثبات الصفات، وكل ما لديهم هي حجج لا عقلية وأدلة فلسفية وظنون فكرية، والدين لا يؤخذ بالفلسفة والكلام والظنون الفكرية، وإنما هو كتاب وسنة، فمن خالفها فقد ضل السبيل وفارق السنة والجماعة.

فتنة ابن القشيري

وهي ثالث فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٤٦٩هـ: "وفي شوال وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية، وكان السبب أنه ورد إلى بغداد أبو نصر ابن القشيري، وجلس في النظامية، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وكان المتعصب له أبو سعد الصوفي، ومال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إلى نصرة القشيري، وكتب إلى النظام يشكو الحنابلة ويسأله المعونة، ويسأل الشريف أبا جعفر، وكان مقيما بالرصافة، فبلغه أن القشيري على نية الصلاة في جامع الرصافة يوم الجمعة، فمضى إلى باب المراتب فأقام أياما، ثم مضى إلى المسجد المعروف اليوم بابن شافع وهو المقابل لباب النوبي، فأقام فيه وكان يبذل لليهود مالا ليسلموا على يد ابن القشيري ليقوي الغوغاء، فكان العوام يقولون: هذا إسلام الرشى، لا إسلام التقى. فأسلم يوما يهودي، وحمل على دابة، واتفقوا على الهجوم على الشريف أبي جعفر في مسجده والإيقاع به، فرتب

الشريف جماعة أعدهم لرد خصومة إن وقعت فلما وصل أولئك إلى باب المسجد رماهم هؤلاء بالآجر، فوقعت الفتنة ووصل الآجر إلى حاجب الباب، وقتل من أولئك خياط من سوق الثلاثاء، وصاح أصحابها على باب النوبي المستنصر بالله: يا منصور، تهمة للديوان بمعرفة الحنابلة، وتشنيعا عليه، وغضب أبو إسحاق الشيرازي، ومضى إلى باب الطاق، وأخذ في إعداد أهبة السفر، فأنفذ إليه الخليفة من رده عن رأيه، فبعث الفقهاء أبا بكر الشاشي وغيره إلى النظام يشرح له الحال، فجاء كتاب النظام إلى الوزير فخر الدولة بالامتعاض مما جرى، والغضب لتسلط الحنابلة على الطائفة الأخرى، وإني أرى حسم القول في ما يتعلق بالمدرسة التي بنيتها في أشياء من هذا الجنس. وحكى الشيخ أبو المعالي صالح بن شافع عن شيخه أبي الفتح الحلواني وغيره ممن شاهد الحال، أن الخليفة لما خاف من تشنيع الشافعية عليه عند النظام، أمر الوزير أن يجيل الفكر فيما تنحسم به الفتنة، فاستدعى الشريف أبا جعفر، وكان فيمن نفذه إليه ابن جردة فتلطف به ابن جردة حتى حضر في الليل، وحضر أبو إسحاق، وأبو سعد الصوفي، وأبو نصر ابن القشيري، فلما حضر الشريف عظمه الوزير ورفعه، وقال: إن أمير المؤمنين ساءه ما جرى من اختلاف المسلمين في عقائدهم وهؤلاء يصالحونك على ما تريد. وأمرهم بالدنو من الشريف، فقام إليه أبو إسحاق، وقد كان يتردد في أيام المناظرة إلى مسجده بدرب المطبخ، فقال له: أنا ذاك الذي تعرف، وهذه كتبي في أصول الفقه، أقول فيها خلافا للأشعرية، ثم قبل رأسه فقال الشريف: قد كان ما تقول، إلا أنك لما كنت فقيرا لم يظهر لنا ما في نفسك فلما جاءك الأعوان والسلطان وخواجا بزرك أبديت ما كان مخفيا. ثم قام أبو سعد الصوفي فقبل يد الشريف وتلطف به، فالتفت الشريف مغضبا وقال: أيها الشيخ، أما الفقهاء فإذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، فأما أنت فصاحب لهو سماع وبغته،

فمن زاحمك على ذلك، وعلى ما نلته من قبول عند أمثالك، حتى داخلت المتكلمين والفقهاء، فأقمت سوق التعصب! ثم قام القشيري وكان أقلهم للشريف أبي جعفر لجروانه معه، فقال الشريف: من هذا؟ فقيل: أبو نصر القشيري. فقال: لو جاز أن يشكر أحد على بدعته لكان هذا الشاب، لأنه بادهنا بما في نفسه، ولم ينافقنا كما فعل هذان، ثم التفت إلى الوزير وقال: أي صلح بيننا، إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية أو دنيا، أو قسمة ميراث، أو تنازع في ملك، فأما هؤلاء القوم فهم يزعمون أننا كفار، ونحن نزعم أن من لا يعتقد ما نعتقده كافر، فأي صلح بيننا وهذا الإمام مفزع المسلمين، وقد كان جده القائم والفادر أخرجا اعتقادهما للناس، وقرئ عليهم في دواوينهم، وحمله عنهما الخرسانيون والحجيج إلى أطراف الأرض، ونحن على اعتقادهما. وأنهى الوزير ما جرى، فخرج في الجواب: عرفنا ما أنهيته في حضور ابن العم، كثر الله في الأولياء مثله، وحضور من حضر من أهل العلم، والحمد لله الذي جمع الكلمة، وضم الألفة، فليؤذن الجماعة في الانصراف، وليقل لابن أبي موسى أنه قد أفرد له موضع قريب من الخدمة ليراجع في كثير من الأمور الدينية، وليتبرك بمكانه. فلما سمع الشريف هذا قال: فعلتموها، فحمل إلى موضع أفرد له وكان الناس يدخلون عليه مديدة ثم قيل له: قد كثر استطراق الناس دار الخلافة فاقتصر على من يعين دخوله. فقال: ما لي غرض في دخول أحد علي. فامتنع الناس، ثم مرض الشريف مرضا أثر في رجليه فانتفختا، فيقال: إن بعض المتفقهة من الأعداء نزل له في مداسه سما، والله أعلم.

وقد نقل هذا الخبر، ابن كثير الدمشقي إلا أنه قال: "ونحن نوجب ما نعتقده وهم يحرمون".

قلت: وهذا تلبيس منه، وكان الأصل أن ينقل الخبر على وجهه الصحيح، كيف يعرفوا حقيقة موقف المذاهب بعضها من بعض، ولا يغر الناس، ويجعلهم يعتقدون أن المسائل التي اختلف فيها أئمة أهل السنة مع المتكلمين، هي مجرد مسائل يسيرة، كغيرها من المسائل الخلافية الفرعية.

جواب النظام لرسالة الشيرازي سنة ٤٧٠هـ

قال ابن الجوزي: "وورد كتاب من النظام إلى أبي إسحاق الشيرازي في جواب بعض كتبه الصادرة إليه في معنى الحنابلة، وفيه: ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب، وليس توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة إلى أن نميل في المذاهب إلى جهة دون جهة، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة إلا لصيانة أهل العلم أو المصلحة، لا للاختلاف وتفريق الكلمة، ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب فليس إلا التقدم بسد الباب، وليس في المكنة إلا بيان على بغداد ونواحيها، ونقلهم عن ما جرت عليه عاداتهم فيها، فإن الغالب هناك وهو مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، ومحله معروف بين الأئمة، وقدره معلوم في السنة، وكان ما انتهى إلينا أن السبب في تجديد ما تجدد مسألة سئل عنها أبو نصر القشيري عن الأصول، فأجاب عنها بخلاف ما عرفوه في معتقداتهم، والشيخ الإمام أبو إسحاق وفقه الله رجل سليم الصدر، سلس الانقياد، ويصغي إلى كل من ينقل إليه، وعندنا من تصادر كتبه ما يدل على ما وصفناه من سهوله يجتذبه والسلام. فتداول هذا الكلام بين الحنابلة وسروا به، وقووا معه" اهـ

فتنة الاسكندراني

وهي رابع فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٧٠هـ: فلما كان يوم الثلاثاء ثاني شوال وهو يوم يسمى بفرح ساعة خرج من المدرسة متفقه يعرف بالإسكندراني، ومعه بعض من يؤثر الفتنة إلى سوق الثلاثاء، فتكلم بتكفير الحنابلة، فرمى بآجرة، فدخل إلى سوق المدرسة واستغاث بأهلها، فخرجوا معه إلى سوق الثلاثاء، ونهبوا بعض ما كان فيه، ووقع الشر، وغلب أهل سوق الثلاثاء بالعوام، ودخلوا سوق المدرسة فنهبوا القطعة التي تليهم منه، وقتلوا مريضا وجدوه في غرفة، وخاف مؤيد الملك على داره فأرسل إلى العميد أبي نصر يعلمه الحال، فأنفذ إليه الديلم والخراسانية فدفعوا العوام، وقتلوا بالنشاب بضعة عشر، وأنفذ من الديوان خدم لإطفاء الثائرة، ولحمل المقتولين إلى الديوان حتى شهدهم القضاة والشهود، وكتبوا خطوطهم بذلك، وكان نساؤهم على باب النوبي يلطمن، وكتب بذلك إلى النظام فجاءت مكاتبات منه بالجميل، ثم ثناها بضد ذلك.

تدليس ابن الأثير في نقل فتنة ابن القشيري والاسكندراني

قام ابن الأثير، بنقل خبر فتنة ابن القشيري، ولكونه أشعريا متكلما، صاغ الخبر بأسلوب فيه نوع من التزوير والكذب، كما هي عادته في ذلك، كما سوف يمر معنا، فجمع بين فتنة ابن القشيري وفتنة الاسكندراني، وركب الخبر بصيغة ظهر الحنابلة فيها على أنهم هم المعتدون، ومثيري الفتنة، وابن الأثير ليس له مرجع في هذا الخبر سوى كتب ابن الجوزي، مما يدل على أنه تعمد التزوير والكذب في نقل الخبر، فقال: "في هذه السنة ورد بغداذ أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري حاجا وجلس في المدرسة النظامية يعظ الناس، وفي رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لأنه تكلم على مذهب الأشعري، ونصره، وكثر أتباعه والمتعصبون له، وقصد خصومه من

الحنابلة، ومن تبعهم، سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين الشيخ أبو إسحاق، وشيخ الشيوخ، وغيرهما من الأعيان، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة". انتهى

وتصرفه هذه مكر منه لا يحيق إلا به، فالأشاعرة كما في الخبر الذي أورده ابن الجوزي، هم أو لمن اعتدى على الحنابلة، حيث أن ابن القشيري لم يكتف بالدعوة إلى مذهب الأشعري، بل نال من الحنابلة ونسبهم إلأى التجسيم، ثم قام أحد أنصاره، وهو أبو إسحاق الشيرازي، بمحاولة الإيقاع بشيخ الحنابلة، أبي جعفر الهاشمي، فكان ما قام به الحنابلة ردة فعل طبيعية على من أراد أن ينالهم بسوء، ثم لما طفئت الفتنة، خرج رجل من المدرسة النظامية وهو الإسكندراني ودخل إلى سوق الثلاثاء، وهو سوق في محلة الحنابلة، وكان يريد بذلك إثارة الفتنة، وإذكاء الشر، وأخذ بسب لاالحنابلة في سوقهم، فكان رد الحنابلة أيضا ردا طبيعيا على من يريد أن ينالهم بسوء. وسوف يأتي معنا كيف أن الأشاعرة يستقصدون دائما الوقيعة في الحنابلة والنيل منهم والتشنيع عليهم ووصفهم بما هم منه براء، ليجفل منهم الناس ويجتنبوهم، ومن هنا نعلم أن الفتن والشر لا يأتي إلا من هذه الطائفة الخسيسة.

فتنة البكري الأشعري

وهي خامس فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي في المنتظم: في حوادث سنة ٤٧٥هـ: "وفي يوم الجمعة لخمس بقين من شوال، عبر قاص من الأشعرية يقال له البكري إلى جامع المنصور ومعه الفضولي الشحنة والأتراك والعجم بالسلاح فوعظ، وكان هذا البكري فيه حدة وطيش، وكان النظام قد أنفذ ابن القشيري فتلقاه الحنابلة بالسب، وكان له عرض

فائق من هذا فأخذه النظام إليه، وبعث إليهم هذا الرجل، وكان ممن لا خلاق له، فأخذ يسب الحنابلة ويستخف بهم، وكان معه كتاب من النظام يتضمن الإذن له في الجلوس في المدرسة، والتكلم بمذهب الأشعرية، فجلس في الأماكن كلها، وقال: لا بد من جامع المنصور. فقيل لنقيب النقباء، فقال: لا طاقة لي بأهل باب البصرة فقيل: لا بد من مداراة هذا الأمر. فقال: ابعثوا إلى أصحاب الشحنة، فأقام على كل باب من أبواب الجامع تركيا، ونادى من باب البصرة وتلك الأصقاع دعوا لنا اليوم الجامع، فمنعهم من الحضور، وحضر الفضولي الشحنة والأتراك والعجم بالسلاح، وصعد المنبر وقال: وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، ما كفر أحمد بن حنبل، وإنما أصحابه، وفجاء الآجر فأخذ النقيب قوام الجامع، وقال: هذا من أين؟ فقالوا: إن قوما من الهاشميين تبطنوا السقف وفعلوا هذا. وكان الحنابلة يكتبون إليه العجائب — أي إلى النقيب - فيستخف بهم في جوابها، واتفق أنه — أي البكري - عبر إلى قاضي القضاة أبي عبد الله في يوم الأحد ثالث عشر شوال فاجتاز في نهر القلائين، فجرى بين أصحابه وأصحاب أبي الحسين بن الفراء سباب وخصام، فعاد إلى العميد وأعلمه بذلك، فبعث من وكل بدار ابن الفراء ونهبت الدار، وأخذ منها كتاب "الصفات" وجعله العميد بين يديه — أي بين يدي البكري - يقرئه لكل من يدخل إليه ويقول: أيجوز لمن يكتب هذا أن يحمى أو يؤوى في بلد؟ قال المصنف: قرأت بخط ابن عقيل: أنه لما انفذ نظام الملك بأبي نصر ابن القشيري تكلم بمذهب أبي الحسن، فقابلوه بأسخف كلام على ألسن العوام، فصبر لهم هنيئة، ثم أنفذ البكري سفيها طرقيا شاهد أحواله الإلحاد، فحكى عن الحنابلة ما لا يليق بالله سبحانه، فأغرى بشتمهم وقال: هؤلاء يقولون لله ذكر فرماه الله في ذلك العضو بالخبيث فمات" اهـ

أما ابن الأثير فصاغ الخبر بطريقة أظهرت أن البكري لم يكن يتمتع بأي حماية من طرف السلطة في ذلك الوقت، والحق أن الاشاعرة كانوا إذ ذاك قليلة وذليلة، وإنما قوية شوكتهم وعز جانبهم بعد أن مال إليهم نظام الملك، وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان، فاستخدموا القوة لفرض مذهبهم، وأشعلوا بسبب ذلك العديد من الفتن، نشرا لضلالاتهم، ومحاربة للحق أهله، فقال ابن الأثير: "ورد إلى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري، المغربي، الواعظ، وكان أشعري المذهب، وكان قد قصد نظام الملك، فأحبه ومال إليه، وسيره إلى بغداذ، وأجرى عليه الجراية الوافرة، فوعظ بالمدرسة النظامية، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم، ويقول: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا. ثم إنه قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين، فجرى بينه وبين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة، وكثر جمعه، فكبس دور بني الفراء، وأخذ كتبهم، وأخذ منها كتاب الصفات (لأبي يعلى) فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ، فيشنع به عليهم، وجرى له معهم خصومات وفتن، ولقب البكري من الديوان بعلم السنة، ومات ببغداذ، ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري" اهـ

فنجد ابن الأثير هنا، لم يذكر شيئا عن تعمد البكري أذية الحنابلة، بدخول جامعهم رغما عنهم، وتكفيرهم من على منبرهم، كما يحاول هنا أن يوهم القراء، أن من قام بكبس دور بني الفراء هو البكري وأصحابه، بينما من قام بذلك هو العميد، نفذ ذلك بقوة السلطة، وبقوة السلاح، وأما الأشاعرة في ذلك الوقت، فكانوا أذل من أن يقدموا على شيء من ذلك، ولم يقم العميد والنقيب بفعل هذا الشيء إلأا

خوفا من نظام الملك وزير السلطان السلجوقي، فكان العميد والنقيب والخليفة برأسه، وكأنهم رعايا وخدم عند نظام الملك.

وطريقة صياغة ابن الأثير للخبر تجعل من البكري رجلا صالحا بعد أن وصفه ابن عقيل بأنه كان سفيها طرقيا كذابا شاهد أحواله الإلحاد، كما تضفي عليه وعلى أتباعه صفة الشجاعة والإقدام، فقد استطاع أن يهجم على دور آل الفراء وانتزاع كتابهم من مكتبتهم، وكأ، عسكر السلطان ليسوا هم من فعل ذلك!

فتنة سبط ابن فورك

وهي سادس فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن حجر الأشعري في كتابه لسان الميزان في ترجمة سبط ابن فورك: "أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم الفوركي، سبط القاضي أبي بكر بن فورك، عن القاضي أبي بكر الحيري، قال ابن ناصر: كان يدعو إلى بدعته، وقال ابن خيرون: وكان سماعه صحيحا، قلت: وقول ابن ناصر، يريد أنه كان أشعريا، قال ابن السمعاني: كان متكلما فاضلا واعظا درس الكلام على ابن الحسين القزاز وتزوج بنت القشيري الوسطي ولزم العسكر وبسببه قامت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة وكان يعظ في النظامية وسمعت أنه كان يلبس الحرير وكان سماعه بخط أبي صالح المؤذن سألت عنه الأنماطي فقال كان يأخذ مكس الفحامين ومات في شعبان سنة ثمان وسبعين وأربع مائة" اهـ

ولم يذكر ابن حجر تفاصيل هذ الفتنة، ولكن لعله يعني إحدى الفتن السابقة، وصرّح أن سبب إشعالها، هو سبط ابن فورك الأشعري، وقد ذكر أبو المحاسن الأتابكي سبط ابن فورك هذا في تاريخه "النجوم الزاهرة" ووصفه بأنه كان قبيح السيرة!

فتنة عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي

وهي سابع فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٩٥هـ: "وفي هذه السنة قدم إلى بغداد أبو المؤيد عيسى بن عبد الله الغزنوي ووعظ في الجامع وأظهر المذهب الأشعري ومال معه صاحب المخزن ابن الفقيه فوقعت فتنة وجاز يوما من مجلسه ماضيا إلى منزله برباط أبي سعد الصوفي، فرجم من مسجد ابن جردة فارتفع بذلك سوقه وكثر أصحابه، وخرج من بغداد في ربيع الآخر سنة ست وتسعين، كفانت إقامته سنة وبعض أخرى" اهـ

وقال أيضا في حوادث سنة ٤٩٨هـ: "كان واعظا شاعرا كاتبا، ورد بغداد فسمع السراج بن الطيوري، ووعظ بها ونفق ونصر مذهب الأشعري، فأخرج من بغداد فخرج في السنة التي قبل هذه، وقيل في هذه السنة، وربما قيل في السنة التي بعدها، خرج يقصد غزنة فتوفي في الطريق بأسفرايين" اهـ

وقال ابن كثير: "وفيها قدم عيسى بن عبد الله الغزنوي، فوعظ الناس، وكان شافعيا أشعريا، فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد" اهـ

فتنة ابن العبادي سنة ٥٤٦هـ

وهي ثامن فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي في المنتظم: "وسأل ابن العبادي أن يجلس في جامع المنصور فقيل له: لا تفعل فإن أهل الجانب الغربي لا يمكنون إلا الحنابلة فلم يقبل فضمن له نقيب النقباء واستاذ الدار وخلق كثير الحماية، فجلس يوم الجمعة خامس ذي الحجة في

الرواق وحضر النقيبان وأستاذ الدار وخلق كثير، فلما شرع في الكلام أخذته الصيحات من الجوانب ونفر الناس وضربوا بالآجر فتفرق الناس منهزمين كل قوم يطلبون جهة، وأخذت عمائم الناس وفوطهم وجذبت السيوف حوله وتجلد وثبت وسكن الناس وتكلم ساعة ونزل وأرباب الدولة يحفظونه حتى انحدر وقد طار لبه" اهـ

فتنة أبو الحسن البلخي ٥٤٨هـ

وهي تاسع فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن الأثير في ترجمة البلخي أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد الذي تنسب إليه المدرسة البلخية بباب البريد: "هو الإمام، أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد البلخي، الحنفي، نزيل دمشق، ومدرس الصادرية وعظ وأقرأ وجعلت له دار الأمير طرخان مدرسة، وثارت عليه الحنابلة لأنه نال منهم، وكان ذا جلالة ووجاهة، ويلقب بالبرهان البلخي" اهـ

قلت: وصدق، هو إمام، ولكنه إمام إلى النار، إن شاء الله.

فتنة محمد البروي الهالك سنة ٥٦٧هـ

وهي عاشر فتنة أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي: "محمد بن محمد بن محمد، أبو المظفر البروي. تفقه على محمد بن يحيى وناظر ووعظ وقدم بغداد فجلس للوعظ في أول ولاية المستضيء وأظهر مذهب الأشعري وتعصب على الحنابلة وبالغ فأخذه قيام الدم في رمضان هذه السنة في يوم. وتوفي ودفن في تربة أبي إسحاق الشيرازي" اهـ

فتنة أبو الفتوح الإسفراييني سنة ٥٣٨هـ

وهي الفتنة الحادية عشر التي أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي: "وأبو الفتوح الأسفراييني محمد بن الفضل بن محمد، ويعرف أيضا بابن المعتمد، الواعظ المتكلم. روى عن أبي الحسن بن الأخرم المديني. ووعظ ببغداد. وجعل شعاره إظهار مذهب الأشعري، وبالغ في ذلك حتى هاجت فتنة كبيرة بين الحنابلة والأشعرية. فأخرج من بغداد، فغاب مدة ثم قدم وأخذ يثير الفتنة ويبث اعتقاده. ويذم الحنابلة. فأخرج من بغداد وألزم بالإ قامة ببلده. فأدركه الموت ببسطام في ذي الحجة. وكان رأسا في الوعظ، أوحد في مذهب الأشعري. له تصانيف في الأصول والتصوف. وقال أبو طالب بن الحديثي القاضي: كنت جالسا فمر أبو الفتوح وحوله جم غفير وفيهم من يصيح يقول: لا بحرف ولا بصوت بل عبارة. فرجمه العوام، وكان هناك كلب ميت فتراجموا به، وصار من ذاك فتنة كبيرة. والإسفراييني هذا هو أحد مشايخ ابن عساكر الدمشقي" اهـ

فتنة مرجان الخادم

وهي الفتنة الثانية عشر التي أوقعها المتكلمون

قال ابن الجوزي: "مرجان الخادم كان يقرأ القرآن ويعرف شيئا من مذهب الشافعي وتعصب على الحنابلة فوق الحد حتى أن الحطيم الذي كان برسم الوزير ابن هبيرة بمكة يصلي فيه ابن الطباخ الحنبلي مضى مرجان وأزاله من غير تقدم بغضا للقوم وناصبني دون الكل. وبلغني أنه كان يقول: مقصودي قلع هذا المذهب، فلما مات الوزير ابن هبيرة سعى بي إلى الخليفة وقال عنده كتب من كتب الوزير فقال الخليفة هذا محال فإن فلانا كان عنده أحد عشر دينارا لأبي حكيم وكان حشريا فما فعل فيها شيئا حتى طالعنا. فنصرني الله عليه ودفع شره. ولقد حدثني سعد الله

البصري وكان رجلا صالحا وكان مرجان حينئذ في عافية قال: رأيت مرجان في المنام ومعه اثنان قد أخذا بيده فقلت إلى أين؟ قالا إلى النار، قلت لماذا؟ قالا: كان يبغض ابن الجوزي. ولما قويت عصبيته لجأت إلى الله سبحانه ليكفيني شره فما مضت إلا أيام حتى أخذه السل. فمات يوم الأربعاء، حادي عشر ذي القعدة من هذه السنة ودفن بالترب" اهـ

فتنة البوري الأشعري٥٦٧هـ

وهي الفتنة الثالثة عشر التي أوقعها المتكلمون

قال ابن الأثير: "وفيها مات البوري الفقيه الشافعي، تفقه على محمد بن يحيى، وقدم بغداد ووعظ، وكان يذم الحنابلة، وكثرت أتباعه، فأصابه إسهال، فمات هو وجماعة من أصحابه، فقيل: إن الحنابلة أهدوا له حلواء فمات هو وكل من أكل منها" اهـ

قلت: ودعوى ابن الأثير أن الحنابلة هم من أهداه هذه الحلوى كلام فارغ، وابن الأثير كذاب، فقد رم معنا كيف قام بتحريف التاريخ وتزويره لصالح الأشعرية، وكما سوف يأتي معنا أيضا، تحريفه لرسالة الخليفة العباسي للحنابلة، فمنذ متى كان الحنابلة يهدون الأشاعرة، خصوصاً من يذمهم وينال منهم الهدايا!!

فتنة محمد الطوسي سنة ٥٧٩هـ

وهي الفتنة الرابعة عشر التي أوقعها المتكلمون

قال الذهبي في السير: "الشهاب الطوسي محمد بن محمود بن محمد... قال أبو شامة: قيل إنه قدم بغداد، فكان يركب بالسنجق والسيوف المسللة والغاشية والطوق

في عنق البغلة، فمنع من ذلك، فسافر إلى مصر، ووعظ، وأظهر مقالة الأشعري، فثارت الحنابلة، وكان يجري بينه وبين زين الدين ابن نجية كبيرهم العجائب والسب" اهـ

وقال المقريزي في السلوك لمعرفة دول الملوك: "وفي سابعه جرت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة سببها إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسي تكلمه في مسألة من مسائل الكلام في مجلس وعظه وترافعوا إلى الملك المظفر بمخيمه فرسم برفع كراسي وعظ الفريقين وقد أطلق كل من الفريقين لسانه في الآخر" اهـ

فتنة ابن عبدالسلام

وهي الفتنة الخامسة عشر التي أوقعها المتكلمون

قال في الذهبي في السير: "وكان للأشرف ميل إلى المحدثين والحنابلة؛ قال ابن واصل: وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد، قال: وتعصب الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الحنابلة، وجرت خبطة، حتى كتب عز الدين إلى الأشرف يقع فيهم، وأن الناصح ساعد على فتح باب السلامة لعسكر الظاهر والأفضل عندما حاصروا العادل، فكتب الأشرف: يا عز الدين، الفتنة ساكنة لعن الله مثيرها، وأما باب السلامة فكما قيل:

وجرم جره سفهاء قوم ... فحل بغير جانيه العذاب" اهـ

محنة الحنابلة مع الملك "العزيز" ملك مصر

وهي الفتنة السادسة عشر التي أوقعها المتكلمون

قال ابن كثير: "وفيها كانت وفاة الملك العزيز صاحب مصر وذلك أنه خرج إلى الصيد، فلما كان ليلة الأحد العشرين من المحرم، ساق خلف ذئب، فكبا به الفرس فسقط عنه، وكانت وفاته بعد أيام بعد رجوعه إلى البلد، فنقل ودفن بداره، ثم حول إلى عند تربة الشافعي، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة؛ رحمه الله. ويقال: إنه كان قد عزم في هذه السنة على إخراج الحنابلة من بلده، ويكتب إلى بقية إخوته أن يخرجوهم من بلادهم، وشاع ذلك عنه وسمع منه وذاع وصرح به، وكل ذلك من معلميه وخلطائه وعشرائه من الجهمية، وقلة علمه بالقرآن والحديث، فلما وقع ما وقع عظم قدر الحنابلة بديار مصر والشام عند الخاص والعام. وقيل: إن بعض صالحيهم دعا عليه، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد، فكان هلاكه سريعا، فالله أعلم" اهـ

قلت: ومن عجائب ابن كثير أنه إذا غضب على الأشاعرة قال جهمية وإذا رضي عنهم قال شافعية!!!

فتنة الجيلي

وهي الفتنة السابعة عشر التي أوقعها المتكلمون

اقل ابن كثير: "عزيزي بن عبد الملك بن منصور أبو المعالي الجيلي القاضي، الملقب شيذله، كان شافعيا في الفروع أشعريا في الأصول، وكان حاكما بباب الأزج، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنآن كبير، سمع رجلا ينادي على حمار له ضائع فقال: يدخل باب الأزج ويأخذ بيد من شاء. وقال يوما للنقيب طراد الزينبي: لو حلف إنسان أنه لا يرى إنسانا فرأى أهل باب الأزج لم يحنث، فقال له الشريف: من عاشر قوما أربعين يوما فهو منهم، ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا" اهـ

فتنة ان تومرت

وهي الفتنة الثامنة عشر التي أوقعها المتكلمون

وهي أعظمها وأكثرها شرا وشررا

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥١٤هـ: "في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي، الحسني، وقبيلته من المصامدة، تعرف بهرغة في جبل السوس، من بلاد المغرب، نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير، ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا. وكان ابن تومرت قد رحل في شبيبته إلى بلاد الشرق في طلب العلم .. ووصل في سفره إلى العراق، واجتمع بالغزالي، وإلكيا، واجتمع بأبي بكر الطرطوشي بالإسكندرية .. فحج من هناك وعاد إلى المغرب، ولما ركب البحر من الإسكندرية، مغربا، غير المنكر في المركب، وألزم من به بإقامة الصلاة، وقراءة القرآن، حتى انتهى إلى المهدية، وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم، سنة خمس وخمسمائة، فنزل بمسجد .. وليس له سوى ركوة، وعصا، وتسامع به أهل البلد، فقصدوه يقرءون عليه أنواع العلوم، وكان إذا مر به منكر غيره وأزاله، فلما كثر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء، فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه، وسأله الدعاء. ورحل عن المدينة .. وسار إلى بجاية ففعل فيها مثل ذلك، فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالة، فلقيه بها عبد المؤمن بن علي، فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم، والقيام بالأمر، فسأله عن اسمه وقبيلته، فأخبره أنه من قيس عيلان، ثم من بني سليم، فقال ابن تومرت: هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال: «إن الله ينصر هذا الدين، في آخر الزمان، برجل من قيس، فقيل: من أي قيس؟ فقال: من بني سليم» . فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه .. ولم

يزل المهدي ملازما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين، فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه، فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فكثر أتباعه، وحسنت ظنون الناس فيه، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه، إذ رأى أخت أمير المؤمنين في موكبها، ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة، وهن مسفرات، وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم عن وجوههن، ويتلثم الرجال، فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن، وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها، فرفع أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، فأحضره، وأحضر الفقهاء ليناظره، فأخذ يعظه ويخوفه، فبكى أمير المسلمين، وأمر أن يناظره الفقهاء، فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله — أي فيما ذهب إليه من وجوب تغطية وجوه النساء – وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب، فقال: يا أمير المسلمين، إن هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما يريد إثارة فتنة، والغلبة على بعض النواحي، فاقتله وقلدني دمه. فلم يفعل ذلك، فقال: إن لم تقتله فاحبسه، وخلده في السجن، وإلا أثار شرا لا يمكن تلافيه. فأراد حبسه، فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فأمر بإخراجه من مراكش، فسار إلى أغمات، ولحق .. بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة وخمسمائة، فأتوه، واجتمعوا حوله. وتسامع به أهل تلك النواحي، فوفدوا عليه، وحضر أعيانهم بين يديه وجعل يعظهم، ويذكرهم بأيام الله، ويذكر لهم شرائع الإسلام، وما غير منها، وما حدث من الظلم والفساد، وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل، بل الواجب قتالهم، ومنعهم عما هم فيه، فأقام على ذلك نحو سنة، وتابعته هرغة قبيلته، وسمى أتباعه الموحدين

وأعلمهم أن النبي، صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلا، وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى، فقام إليه عشرة رجال، أحدهم عبد المؤمن، فقالوا: لا يوجد هذا إلا فيك فأنت المهدي، فبايعوه على ذلك. فانتهى خبره إلى أمير المسلمين، فجهز جيشا من أصحابه وسيرهم إليه، فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لأصحابه: إن هؤلاء يريدونني، وأخاف عليكم منهم، فالرأي أن أخرج بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم، فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة: هل تخاف شيئا من السماء؟ فقال: لا، بل من السماء تنصرون، فقال ابن توفيان: فليأتنا كل من في الأرض. ووافقه جميع قبيلته، فقال المهدي: أبشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة، وبعد قليل تستأصلون دولتهم، وترثون أرضهم، فنزلوا من الجبل، ولقوا جيش أمير المسلمين، فهزموهم، وأخذوا أسلابهم، وقوي ظنهم في صدق المهدي، حيث ظفروا، كما ذكر لهم. وأقبلت إليه أفواج القبائل، من الحلل التي حوله، شرقا وغربا، وبايعوه، وأطاعته قبيلة هنتاتة، وهي من أقوى القبائل، فأقبل عليهم، واطمأن إليهم، وأتاه رسل أهل تين ملل بطاعتهم، وطلبوه إليهم، فتوجه إلى جبل تين ملل واستوطنه، وألف لهم كتابا في التوحيد، وكتابا في العقيدة، ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض، والاقتصار على القصير من الثياب، القليل الثمن، وهو يحرضهم على قتال عدوهم، وإخراج الأشرار من بين أظهرهم. وأقام بتين ملل وبنى له مسجدا خارج المدينة، فكان يصلي فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده، ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة، فلما رأى كثرة أهل الجبل، وحصانة المدينة، خاف أن يرجعوا عنه، فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح، ففعلوا ذلك عدة أيام، ثم إنه أمر أصحابه أن يقتلوهم، فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد، ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر، وسبى الحريم، ونهب الأموال، فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفا، وقسم المساكن والأرض بين

أصحابه، وبنى على المدينة سورا، وقلعة على رأس جبل عال. وفي جبل تين ملل أنهار جارية، وأشجار، وزروع، والطريق إليه صعب، فلا جبل أحصن منه".

فصل: وقد ذكر ابن الأثير أن سبب خوف ابن تومرت من أهل الجبل، أنه عند قدومه إليهم رأى عمّال أمير المسلمين تجبي زكاة أموالهم، وكان قد عقد العزم على الخروج عليهم، فحرّص أهل الجبل على قتل عمال أمير المسلمين، فوثبوا عليهم فقتلواهم، فأرسل إليهم أمير المسلمين جيشا قويا، فحصروهم في الجبل، وضيقوا عليهم، ومنعوا عنهم الميرة، فقلّت عند أصحاب المهدي الأقوات، حتى صار الخبز معدوما عندهم، وكان يطبخ لهم كل يوم من الحساء ما يكفيهم، فكان قوت كل واحد منهم أن يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها، فما علق عليها قنع ذلك اليوم، فاجتمع أعيان أهل تين ملل، وأرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين، فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت، فاحتال عليهم وقتلهم كما تقدم، وسمّي ذلك اليوم، يوم التمييز.

قال ابن الأثير: "ولما فرغ ابن تومرت من التمييز، رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة، وقلوب متفقة على طاعته، فجهز منهم جيشا وسيرهم إلى جبال أغمات، وبها جمع من المرابطين، فقاتلوهم، فانهزم أصحاب ابن تومرت، وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشي، وقتل منهم كثير، وجرح عمر الهنتاني، وهو من أكبر أصحابه، وسكن حسه ونبضه، فقالوا: مات! فقال الونشريشي: أما إنه لم يمت، ولا يموت حتى يملك البلاد. فبعد ساعة فتح عينيه، وعادت قوته إليه، فافتتنوا به".

فصل: قلت: يبدو أن الونشريسي لما جسّ الهنتاني علم أنه لم يمت وأنه إنما غشي عليه، فأراد أن يخدع أصحابه بهذه الحيلة ليقوى اعتقادهم فيه وفي شيخه ابن تومرت.

قال ابن الأثر: "وعادوا منهزمين إلى ابن تومرت، فوعظهم، وشكرهم على صبرهم. ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في أطراف بلاد المسلمين، فإذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فأمنوا. وكان المهدي قد رتب أصحابه مراتب، فالأولى يسمون أيت عشرة يعني أهل عشرة، وأولهم عبد المؤمن، ثم أبو حفص الهنتاتي، وغيرهما، وهم أشرف أصحابه، وأهل الثقة عنده، السابقون إلى متابعته، والثانية: أيت خمسين، يعني أهل خمسين، وهم دون تلك الطبقة، وهم جماعة من رؤساء القبائل، والثالثة: أيت سبعين، يعني أهل سبعين، وهم دون التي قبلها، وسمي عامة أصحابه والداخلين في طاعته موحدين، فإذا ذكر الموحدون في أخبارهم فإنما يعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده. ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو إلى سنة أربع وعشرين وخمسمائة، فجهز المهدي جيشا كثيفا يبلغون أربعين ألفا، أكثرهم رجالة، وجعل عليهم الونشريشي، وسير معهم عبد المؤمن، فنزلوا وساروا إلى مراكش فحصروها، وضيقوا عليها، وبها أمير المسلمين علي بن يوسف، فبقي الحصار عليها عشرين يوما، فأرسل أمير المسلمين إلى متولي سجلماسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش، فجمع كثيرا، وسار، فلما قارب عسكر المهدي خرج أهل مراكش من غير الجهة التي أقبل منها، فاقتتلوا، واشتد القتال، وكثر القتل في أصحاب المهدي، فقتل الونشريشي أميرهم، فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم. ولم يزل القتال بينهم عامة النهار، وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف، الظهر والعصر، والحرب قائمة، ولم تصل بالمغرب قبل ذلك، فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين، وقوتهم، أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك، والبستان يسمى عندهم البحيرة، فلهذا قيل وقعة البحيرة، وعام البحيرة، وصاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى أن أدركهم الليل، وقد قتل من المصامدة أكثرهم، وحين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة، فلم يروه في القتلى فقالوا: رفعته

الملائكة، ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتل إلى الجبل. ولما سير – المهدي – الجيش إلى حصار مراكش مرض مرضا شديدا، فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه، وسأل عن عبد المؤمن، فقيل: هو سالم، فقال: ما مات أحد، الأمر قائم، وهو الذي يفتح البلاد. ووصى أصحابه باتباعه، وتقديمه، وتسليم الأمر إليه، والانقياد له، ولقبه أمير المؤمنين. ثم مات المهدي، وكان عمره إحدى وخمسين سنة، وقيل: خمسا وخمسين سنة، ومدة ولايته عشرين سنة، وعاد عبد المؤمن إلى تين ملل، وأقام بها يتألف القلوب، ويحسن إلى الناس، وكان جوادا مقداما في الحروب، ثابتا في الهزاهز، إلى أن دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، فتجهز وسار في جيش كثير، وجعل يمشي مع الجبل إلى أن وصل إلى تادلة، فمانعه أهلها، وقاتلوه، فقهرهم، وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح ما امتنع عليه، وأطاعته صنهاجة الجبل. وكان أمير المسلمين قد جعل ولي عهده ابنه سير، فمات، فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس، وكان أميرا عليها، فلما حضر عنده جعله ولي عهده سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وجعل معه جيشا، وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال. وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر، وهو جبل عال مشرف، وتاشفين في الوطأة، وكان يخرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون، ولم يكن بينهما لقاء، ويسمى عام النواظر. وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن، مع الجبل، في الشعراء، حتى انتهى إلى جبل كرناطة، فنزل في أرض صلبة، بين شجر، ونزل تاشفين قبالته، في الوطأة في أرض لا نبات فيها، وكان الفصل شاتيا، فتوالت الأمطار أياما كثيرة لا تقلع، فصارت الأرض التي فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل، تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها، ويعجز الرجل عن المشي فيها، وتقطعت الطرق عنهم، فأوقدوا رماحهم، وقرابيس سروجهم، وهلكوا

جوعا وبردا وسوء حال. وكان عبد المؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل، لا يبالون بشيء، والميرة متصلة إليهم، وفي ذلك الوقت سير عبد المؤمن جيشا إلى وجرة من أعمال تلمسان، ومقدمهم أبو عبد الله محمد بن رقو، وهو من أيت خمسين، فبلغ خبرهم إلى محمد بن يحيى بن فانوا، متولي تلمسان، فخرج في جيش من الملثمين، فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر، فهزمهم جيش عبد المؤمن، وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه، وغنموا ما معهم ورجعوا، فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه إلى غمارة، فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة، وأقام عندهم مدة. وما برح يمشي في الجبال، وتاشفين يحاذيه في الصحاري، فلم يزل عبد المؤمن كذلك إلى سنة خمس وثلاثين، فتوفي أمير المسلمين علي بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين، فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد، إلا أنه لم ينزل الصحراء. وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن إلى تلمسان، فنازلها، وضرب خيامه في جبل بأعلاها، ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد، وكان بينهم مناوشة، فبقوا كذلك إلى سنة تسع وثلاثين، فرحل عبد المؤمن عنها إلى جبل تاجرة، ووجه جيشا مع عمر الهنتاتي إلى مدينة وهران، فهاجمها بغتة، وحصل هو وجيشه فيها، فسمع بذلك عبد المؤمن فسار إليها، فخرج منها عمر، ونزل تاشفين بظاهر وهران، على البحر، في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين، فجاءت ليلة سبع وعشرين منه، وهي ليلة يعظمها أهل المغرب، وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر، وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم، فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفيا لم يعلم به إلا النفر الذين معه، وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين، فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتي، فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبد، وأحاطوا به، وملكوا الربوة، فلما خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة

البحر، فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك، ورفعت جثته على خشبة، وقتل كل من كان معه. وقيل إن تاشفين قصد حصنا هناك على رابية، وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار، فاتفق أن عمر الهنتاتي، مقدم عسكر عبد المؤمن، سير سرية إلى الحصن، يعلمهم بضعف من فيه، ولم يعلموا أن تاشفين فيه، فألقوا النار في بابه فاحترق، فأراد تاشفين الهرب، فركب فرسه، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور، فسقط في النار، فأخذ تاشفين، فاعترف، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن، فمات في الحال لأن رقبته كانت قد اندقت، فصلب، وقتل كل من معه، وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة. وملك بعده أخوه إسحاق بن علي بن يوسف. ولما قتل تاشفين أرسل عمر إلى عبد المؤمن بالخبر، فجاء من تاجرة في يومه بجميع عسكره، وتفرق عسكر أمير المسلمين، واحتمى بعضهم بمدينة وهران، فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف، وقتل فيها ما لا يحصى. ثم سار إلى تلمسان، وهما مدينتان بينهما شوط فرس، إحداهما تاهرت، وبها عسكر المسلمين، والأخرى أقادير، وهي بناء قديم، فامتنعت أقادير، وغلقت أبوابها، وتأهب أهلها للقتال. وأما تاهرت، فكان فيها يحيى بن الصحراوية، فهرب منها بعسكره إلى مدينة فاس، وجاء عبد المؤمن إليها، فدخلها لما فر منها العسكر، ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة، فلم يقبل منهم ذلك وقتل أكثرهم، ودخلها عسكره، ورتب أمرها، ورحل عنها، وجعل على أقادير جيشا يحصرها، وسار إلى مدينة فاس سنة أربعين وخمسمائة فنزل على جبل مطل عليها، وحصرها تسعة أشهر، وفيها يحيى بن الصحراوية، وعسكره الذين فروا من تلمسان، فلما طال مقام عبد المؤمن عمد إلى نهر يدخل البلد فسكره بالأخشاب والتراب وغير ذلك، فمنعه من دخول البلد، وصار بحيرة تسير فيها السفن، ثم هدم السكر، فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد، وكل ما يجاور النهر من البلد، وأراد عبد المؤمن

أن يدخل البلد فقاتله أهله خارج السور، فتعذر عليه ما قدره من دخوله. وكان بفاس عبد الله بن خيار الجياني عاملا عليها، وعلى جميع أعمالها، فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد، وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الأمان لأهل فاس، فأجابهم إليه، ففتحوا له بابا من أبوابها، فدخلها عسكره، وهرب يحيى بن الصحراوية، وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة، وسار إلى طنجة ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس، وأمر فنودي في أهلها: من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه، فحمل كل من في البلد ما عندهم من السلاح إليه، فأخذه منهم. ثم رجع إلى مكناسة، ففعل بأهلها مثل ذلك، وقتل من بها من الفرسان والأجناد. وأما العسكر الذي كان على تلمسان فإنهم قاتلوا أهلها، ونصبوا المجانيق، وأبراج الخشب، وزحفوا بالدبابات، وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان، فدام الحصار نحو سنة، فلما اشتد الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن، بغير علم الفقيه عثمان، وأدخلوهم البلد، فلم يشعر أهله إلا والسيف يأخذهم، فقتل أكثر أهله، وسبيت الذرية والحريم، ونهب من الأموال ما لا يحصى، ومن الجواهر ما لا تحد قيمته، ومن لم يقتل بيع بأوكس الأثمان، وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل، وقيل: إن عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان، وسار منها إلى فاس، والله أعلم. وسير عبد المؤمن سرية إلى مكناسة، فحصروها مدة، ثم سلمها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم. وسار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سلا ففتحها، وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة، فدخلوا في طاعته، فأجابهم إلى بذل الأمان، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .. لما فرغ عبد المؤمن من فاس، وتلك النواحي، سار إلى مراكش، وهي كرسي مملكة الملثمين، وهي من أكبر المدن وأعظمها، وكان صاحبها حينئذ إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، وهو صبي، فنازلها، وكان نزوله عليها سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، فضرب

خيامه في غربيها على جبل صغير، وبنى عليه مدينة له ولعسكره، وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة، ويرى أحوال أهلها، وأحوال المقاتلين من أصحابه، وقاتلها قتالا كثيرا، وأقام عليها أحد عشر شهرا، فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد، واشتد الجوع على أهله، وتعذرت الأقوات عندهم. ثم زحف إليهم يوما، وجعل لهم كمينا، وقال لهم: إذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا، وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال، وتقدم عسكره، وقاتلوا، وصبروا، ثم إنهم انهزموا لأهل مراكش ليتبعوهم إلى الكمين الذي لهم، فتبعهم الملثمون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن، فهدموا أكثر سورها، وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين، فقال لهم: اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد، فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم، ورجع المصامدة المنهزمين إلى الملثمين، فقتلوا كيف شاءوا، وعادت الهزيمة على الملثمين، فمات في زحمة الأبواب ما لا يحصيه إلا الله سبحانه. وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة إسحاق بن علي بن يوسف لصغر سنه، فاتفق أن إنسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمنا وأطلعه على عوراتهم وضعفهم، فقوي الطمع فيهم، واشتد عليهم البلاء، ونصب عليهم المنجنيقات والأبراج، وفنيت أقواتهم، وأكلوا دوابهم، ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة ألف إنسان، فأنتن البلد من ريح الموتى. وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم، فجاءوا إليهم نجدة، فلما طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان فأجابهم إليه، ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب أغمات، فدخلت عساكره بالسيف، وملكوا المدينة عنوة، وقتلوا من وجدوا، ووصلوا إلى دار أمير المسلمين، فأخرجوا الأمير إسحاق وجميع من معه من أمراء المرابطين فقتلوا، وجعل إسحاق يرتعد رغبة في البقاء،

ويدعو لعبد المؤمن ويبكي فقام إليه سير بن الحاج، وكان إلى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه، وقال: تبكي على أبيك وأمك؟ اصبر صبر الرجال، فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين. فقام الموحدون إليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه، وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة، وقدم إسحاق على صغر سنه، فضربت عنقه سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم، وكانت مدة ملكهم سبعين سنة، وولي منهم أربعة: يوسف وعلي وتاشفين وإسحاق. ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها، واستوطنها واستقر ملكه. ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى من أهلها، فلما كان بعد سبعة أيام أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها، فخرجوا، فأراد أصحابه المصامدة قتلهم، فمنعهم، وقال: هؤلاء صناع، وأهل الأسواق من ننتفع به، فتركوا، وأمر بإخراج القتلى من البلد، فأخرجوهم، وبنى بالقصر جامعا كبيرا، وزخرفه فأحسن عمله، وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .. في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين إلى دكالة، فاجتمع إليه قبائلها، وصاروا يغيرون على أعمال مراكش، وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم، فلما كثر ذلك منهم سار إليهم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم إلى ساحل البحر في مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس، وكانوا موصوفين بالشجاعة. وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر، وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة، فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه، فمن الاتفاق الحسن له أنه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء، فانحل عليهم ما قدروه، وفارقوا ذلك الموضع، فأخذهم السيف، فدخلوا البحر، فقتل أكثرهم، وغنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم، وسبيت نساؤهم وذراريهم،

فبيعت الجارية الحسناء بدارهم يسيرة، وعاد عبد المؤمن إلى مراكش مظفرا منصورا، وثبت ملكه، وخافه الناس في جميع المغرب، وأذعنوا له بالطاعة" اهـ

وقال المقريزي في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: "واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم، ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيسي، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدة سنين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهدي المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلا الله خالقها سبحانه وتعالى، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب، وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات" اهـ

هذه حقيقة ابن تومرت، نقلناها من أشعري هو ابن الأثير، من كتابه الكامل في التاريخ، ومن خلالها يتبين لنا ما يلي:

- أن ابن تومرت كان يظهر الزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكسب بذلك قلوب العامة وتعاطفهم ومحبتهم واعتقاد الولاية فيه.

- أن ابن تومرت كان يستجيز الكذب ليخدع بذلك السذج والبلهاء، كما خدع عبدالمؤمن، بحديث وضعه ابن تومرت من عنده.

- أن ابن تومرت كذب على الناس وادعى أنه المهدي المنتظر وحتى يحقق لهم ذلك وضع لهم حديثاً زعم أن النبي أخبر أن المهدي يخرج من المغرب الأقصى.

- ما بني على باطل فهو باطل والحق لا ينتصر بالكذب إنما الباطل قد ينتصر وينتشر بالكذب فهذه الدعوة التي ما انتشرت إلا بالكذب والدجل على الناس لا شك أنها دعوة باطل.

- أن هذه سيما مذهب المتكلمين عامة ومذهب الأشاعرة خاصة، فدينهم لم يقم إلا على الكذب والتزوير ووضع الأحاديث والأخبار على الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة المرضيين، وكما قلنا سابقا أن الحق لا ينتصر بالكذب وما بني على باطل فهو باطل، فهذا دليل قاطع على أن مذهب المتكلمين عامة والاشاعرة خاصة مذهب باطل.

محنة الإمام عبدالغني المقدسي سنة ٥٩٥هـ

وهي الفتنة التاسعة عشر التي أوقعها المتكلمون

قال الذهبي في السير: "كان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق، ويجتمع عليه الخلق، فوقع الحسد، فشرعوا عملوا لهم وقتا لقراءة الحديث، وجمعوا الناس، فكان هذا ينام وهذا بلا قلب، فما اشتفوا، فأمروا الناصح ابن الحنبلي بأن يعظ تحت النسر يوم الجمعة وقت جلوس الحافظ. فأول ذلك: أن الناصح والحافظ أرادا أن يختلفا الوقت، فاتفقا أن الناصح يجلس بعد الصلاة، وأن يجلس الحافظ العصر، فدسوا إلى الناصح

رجلا ناقص العقل من بني عساكر، فقال للناصح في المجلس ما معناه: إنك تقول الكذب على المنبر. فضرب، وهرب، فتمت مكيدتهم، ومشوا إلى الوالي، وقالوا: هؤلاء الحنابلة قصدهم الفتنة، واعتقادهم يخالف اعتقادنا...، ونحو هذا. ثم جمعوا كبراءهم، ومضوا إلى القلعة إلى الوالي، وقالوا: نشتهي أن تحضر عبد الغني، فانحدر إلى المدينة خالي الموفق، وأخي الشمس البخاري، وجماعة، وقالوا: نحن نناظرهم. وقالوا للحافظ: لا تجئ، فإنك حد، نحن نكفيك. فاتفق أنهم أخذوا الحافظ وحده، ولم يدر أصحابنا، فناظروه، واحتد، وكانوا قد كتبوا شيئا من الاعتقاد، وكتبوا خطوطهم فيه، وقالوا له: اكتب خطك. فأبى، فقالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم. واستأذنوه في رفع منبره، فبعث الأسرى، فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين، وقالوا: نريد أن لا تجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية. وكسروا منبر الحافظ، ومنعونا من الصلاة، ففاتتنا صلاة الظهر. ثم إن الناصح جمع البنوية، وغيرهم، وقالوا: إن لم يخلونا نصلي باختيارهم، صلينا بغير اختيارهم. فبلغ ذلك القاضي، وكان صاحب الفتنة، فأذن لهم، وحمى الحنفية مقصورتهم بأجناد، ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى بعلبك، فأقام بها مدة، فقال له أهلها: إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك، فقال: لا. وتوجه إلى مصر، فبقي بنابلس مدة يقرأ الحديث، وكنت أنا بمصر، فجاء شاب من دمشق بفتاو إلى صاحب مصر الملك العزيز ومعه كتب أن الحنابلة يقولون كذا وكذا مما يشنعون به عليهم. فقال -وكان يتصيد-: إذا رجعنا أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة. فاتفق أنه عدا به الفرس، فشب به، فسقط، فخسف صدره، كذلك حدثني يوسف بن الطفيل شيخنا وهو الذي غسله، فأقيم ابنه صبي، فجاء الأفضل من صرخد، وأخذ مصر، وعسكر، وكر إلى دمشق، فلقي الحافظ عبد الغني في الطريق، فأكرمه إكراما كثيرا، ونفذ يوصي به بمصر، فتلقي

الحافظ بالإكرام، وأقام بها يسمع الحديث بمواضع، وكان بها كثير من المخالفين، وحصر الأفضل دمشق حصرا شديدا، ثم رجع إلى مصر، فسافر العادل عمه خلفه، فتملك مصر، وأقام، وكثر المخالفون على الحافظ، فاستدعي، وأكرمه العادل، ثم سافر العادل إلى دمشق، وبقي الحافظ بمصر، وهم ينالون منه، حتى عزم الملك الكامل على إخراجه، واعتقل في دار أسبوعا، فسمعت أبا موسى يقول: سمعت أبي يقول: ما وجدت راحة في مصر مثل تلك الليالي. قال: وكانت امرأة في دار إلى جانب تلك الدار، فسمعتها تبكي، وتقول: بالسر الذي أودعته قلب موسى حتى قوي على حمل كلامك. قال: فدعوت به، فخلصت تلك الليلة. سمعت أحمد بن محمد بن عبد الغني، حدثني الشجاع بن أبي زكري الأمير، قال: قال لي الملك الكامل يوما: ها هنا فقيه قالوا إنه كافر. قلت: لا أعرفه. قال: بلى، هو محدث. قلت: لعله الحافظ عبد الغني؟ قال: هذا هو. فقلت: أيها الملك، العلماء أحدهم يطلب الآخرة، وآخر يطلب الدنيا، وأنت هنا باب الدنيا، فهذا الرجل جاء إليك أو تشفع يطلب شيئا؟ قال: لا. فقلت: والله هؤلاء يحسدونه، فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا. فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء كما أنت أرفع الناس. فقال: جزاك الله خيرا كما عرفتني، ثم بعثت رقعة إليه أوصيه به، فطلبني، فجئت، وإذا عنده شيخ الشيوخ ابن حمويه، وعز الدين الزنجاري، فقال لي السلطان: نحن في أمر الحافظ. فقال: أيها الملك، القوم يحسدونه، وهذا الشيخ بيننا – يعني: شيخ الشيوخ – وحلفته هل سمعت من الحافظ كلاما يخرج عن الإسلام؟ فقال: لا والله، وما سمعت عنه إلا كل جميل، وما رأيته. وتكلم ابن الزنجاري، فمدح الحافظ كثيرا وتلامذته، وقال: أنا أعرفهم، ما رأيت مثلهم. فقلت: وأنا أقول شيئا آخر: لا يصل إليه مكروه حتى يقتل من الأكراد ثلاثة آلاف. قال: فقال: لا يؤذى الحافظ. فقلت: اكتب خطك بذلك، فكتب.

وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده، فكتب: أقول كذا؛ لقول الله كذا، وأقول كذا؛ لقول الله كذا ولقول النبي صلى الله عليه وسلم كذا، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها. فلما رآها الكامل، قال: أيش أقول في هذا يقول بقول الله وقول رسوله -صلى الله عليه وسلم-؟! قلت: وذكر أبو المظفر الواعظ في (مرآة الزمان)، قال: كان الحافظ عبد الغني يقرأ الحديث بعد الجمعة، قال: فاجتمع القاضي محيي الدين، والخطيب ضياء الدين، وجماعة، فصعدوا إلى القلعة، وقالوا لواليها: هذا قد أضل الناس، ويقول بالتشبيه. فعقدوا له مجلسا، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع، منها: قوله: لا أنزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول، ومنها: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان، ومنها: مسألة الحرف والصوت، فقالوا: إذا لم يكن على ما كان، فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه عن حقيقة النزول، فقد جوزت عليه الانتقال، وأما الحرف والصوت فلم يصح عن إمامك، وإنما قال إنه كلام الله، يعني غير مخلوق. وارتفعت الأصوات، فقال والي القلعة الصارم برغش: كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم. فأمر بكسر منبره. قال: وخرج الحافظ إلى بعلبك، ثم سافر إلى مصر.. إلى أن قال: فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وقالوا: يفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم. فكتب الوزير بنفيه إلى المغرب، فمات الحافظ قبل وصول الكتاب" اهـ

وقال ابن كثير: "وفي هذه السنة وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغني المقدسي ؛ وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي، فذكر يوما شيئا من العقائد فاجتمع القاضي محيي الدين بن الزكي وضياء الدين الخطيب الدولعي بالسلطان المعظم والأمير صارم الدين بزغش، فعقد له مجلس فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والنزول والحرف والصوت، فوافق النجم الحنبلي بقية الفقهاء

واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه واجتمع بقية الفقهاء عليه وألزموه بإلزامات شنيعة لم يلتزمها، حتى قال له الأمير بزغش: كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق؟! قال: نعم. فغضب الأمير عند ذلك، وأمر بنفيه من البلد، فاستنظره ثلاثة أيام، فأنظره، وأرسل بزغش الأسارى من القلعة، فكسروا منبر الحافظ، وتعطلت صلاة الظهر يومئذ في محراب الحنابلة، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك، وجرت خبطة شديدة، نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وكان عقد المجلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي الحجة، فارتحل الحافظ عبد الغني إلى بعلبك، ثم سار إلى الديار المصرية، فآواه المحدثون، فحنوا عليه وأكرموه" اهـ

قلت: وانظر إلى قول الأمير بزغش عندما قال: "كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق" فهذه حجة أهل الباطل منذ كانوا، لا ينظرون في حجة ولا دليل، فإما أن يكونوا مع دين ملوكهم، أو يكونوا مع جمهور الناس، ويعتقدون الحق معهم، وكان من أسخف الحجج التي احتج بها مشركوا قريش على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يأتي أحد بمثل ما جاء به، وأنه سفه أحلامهم، وخطئ أباءهم، فكان هو على الحق، مع أنه كان وحده، وكانوا هم على الباطل، مع أنهم أكثر الناس، ولكن أين الذي يفقه!

# الخاتمة

وفي الختام أقول: كيف يطيب لمن يدعي الإسلام وينتسب لمذهب أهل السنة ومنهج السلف، وعنده ذرّة من دين أو تقوى أو قل، أن يدعي أن المتكلمين وخصوصا الأشاعرة والماتريدية هم أقرب الفرق لمذهب أهل السنة!

وكيف يطيب لمن لديه ذرة من دين أو تقوى أو عقل أن يثني على كبار هؤلاء القوم ويصفهم بالأئمة والحفاظ والعلماء، ويدّعي كاذباً أنهم خدموا الإسلام والسنة؟

بأي شيء خدموه؟ أبالتكذيب بالقرآن والسنة، أم بتحريفهم لمعاني القرآن والسنة، أم بكذبهم على الله وعلى رسوله.

هب أنهم في مصنفاهم أصابوا ونفعوا الناس فيما يخص العبادات والمعاملات ونحو ذلك، أي خير ي ذلك، إن كان عقائدهم التي هي أصل الدين فاسدة.

وهل ينفع الناس ما سطروه في باب العبادات والمعاملات بعد أن لقنوهم الإلحاد والكفر؟!

هذه نصيحة مشفق لهؤلاء المساكين، الذين وضعوا أنفسهم في موقف محرج ومخزٍ، الذين آثروا أتباع مشايخهم السالفين الذين لقنوهم هذا المنهج الفاسد، أن يعودوا إلى رشدهم، ويجتنبوا أهل البدع والزيغ والضلال، وأن يحذروا الناس منهم ومن كتبهم، لا أن يثنوا عليهم ويجلونهم ويثنون على مصنفاتهم ويوصون بها، وليذكروا أنهم محاسبون عن كل شخص ضل بسبب ثناءهم على المبتدعة وعلى كتبهم.

وإني لأعلم أن قولي هذا سوف يذهب أدراج الرياح عند أكثر الناس، لأن أكثر الناس إنما يتّبع هواه، وما يرى يه مصلحة دنيويّة له، إلا من أراد الله به خيراً وآثر السلامة والعافية يوم العرض على الله.

وهذه قائمة ببعض أسماء كبار الجهميّة، من المعتزلة والأشاعرة، الذين ابتلي الإسلام بهم وبمصنفاتهم الموبوءة، نسأل الله تعالى العافية والسلامة والرحمة، لتعلموهم، وتحذروهم، وتحذروا كتبهم.

فممن ألّف في التفسير وعلوم القرآن:

أبو منصور الماتريدى (ت ٣٣٣ هـ) صاحب تفسير تأويلات أهل السنة.

أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ وقيل ٣٧٥ هـ) صاحب تفسير بحر العلوم.

أبو اسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) صاحب تفسير الكشف والبيان.

مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) صاحب تفسير الهداية الى بلوغ النهاية.

أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) صاحب تفسير النكت والعيون.

أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) صاحب تفسير لطائف الاشارات.

الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) صاحب تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد.

الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) صاحب المفردات في غريب القرآن.

البغوي (ت ٥١٦ هـ) صاحب تفسير معالم التنزيل (كان مفوضاً).

أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) صاحب كتاب أحكام القرآن.

ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) صاحب تفسير المحرر الوجيز.

ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) صاحب تفسير زاد المسير في علم التفسير.

فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) صاحب التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب.

شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ) صاحب تفسير الجامع لأحكام القرآن.

ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) صاحب تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل.

أبو البركات حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ) صاحب تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

علاء الدين الخازن (ت ٧٢٥ هـ) صاحب تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل.

نظام الدين النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) صاحب تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

ابن جزى الغرناطي (ت ٧٤١ هـ) صاحب تفسير التسهيل لعلوم التنزيل.

أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ) صاحب تفسير البحر المحيط.

السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) صاحب تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.

بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) صاحب البرهان في علوم القرآن (معتزلي).

أبو بكر الحداد (ت ٨٠٠ هـ) صاحب تفسير الحداد.

ابن عرفه (ت ٨٠٣ هـ) صاحب التفسير المعروف باسمه.

ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) صاحب المقدمة الجزرية في علم التجويد، والتي ما وضعها إلا ليشغل بها المسلمين عن تدبر كتاب ربهم عز وجل، وفهم معانيه.

جلال الدين المحلى (ت ٨٦٤ هـ) صاحب تفسير الجلالين.

عبد الرحمن الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) صاحب تفسير الجواهر الحسان.

ابن عادل الحنبلي (ت ٨٨٠ هـ) صاحب تفسير اللباب في علوم الكتاب.

برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) صاحب تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

أحمد بن اسماعيل الكوراني (ت ٨٩٣ هـ) صاحب تفسير غاية الأماني.

جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) صاحب الاتقان في علوم القرآن، والدر المنثور في التفسير بالمأثور.

أبو السعود أفندي (ت ٩٥١ هـ) صاحب تفسير ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم.

الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ) صاحب تفسير السراج المنير.

اسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٢٧ هـ) صاحب تفسير روح البيان.

أحمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤ هـ) صاحب تفسير البحر المديد.

محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) صاحب كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن.

أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ) صاحب تفسير المراغي.

بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩ هـ) صاحب رسائل النور.

محمود شلتوت (ت ١٣٨٣ هـ) صاحب تفسير القرآن الكريم.

محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) صاحب تفسير التحرير والتنوير.

محمد أبو زهره (ت ١٣٩٤ هـ) صاحب تفسير زهره التفاسير.

إبراهيم القطان (ت ١٤٠٤ هـ) صاحب تفسير تيسير التفسير.

حسنين محمد مخلوف (ت ١٤١٠ هـ) صاحب تفسير كلمات القرآن تفسير وبيان.

محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨ هـ) صاحب التفسير المعروف باسمه.

وهبه الزحيلي (ت ١٤٣٦ هـ) صاحب التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.

محمد على الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) صاحب تفسير صفوه التفاسير.

وممن ألّف في الحديث وعلومه:

ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) صاحب الصحيح المعروف باسمه، وصاحب كتاب الثقات.

أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صاحب السنن الكبرى والصغرى، وشعب الايمان وغيرها (كان كلّابياً).

أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ) تلميذ الأشعري، وصاحب كتاب اعتقاد أئمه أهل الحديث (كان كلابياً كشيخه الأشعري).

الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ).

ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ).

أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) وهو شارح سنن أبي داود.

أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) صاحب حليه الاولياء.

أبو ذر الهروي (ت ٤٣٤ هـ).

القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ).

العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ).

عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأندلسي (ت ٦٧٥ هـ وقيل ٦٩٥ هـ او ٦٩٩ هـ) صاحب كتاب بهجه النفوس.

شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) صاحب الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري.

ابن بطال (ت ٤٤٩ هـ) واحد من شراح صحيح البخاري.

ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) صاحب فتح الباري، ولسان الميزان، والدرر الكامنة وغيرها.

شهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) شارح صحيح البخاري في كتابه إرشاد الساري.

محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) شارح صحيح مسلم في كتابه المنهاج، وصاحب رياض الصالحين، والأربعين النووية.

محمد بن خليفه الأبي (ت ٨٢٧ هـ) شارح صحيح مسلم في كتابه اكمال المعلم بفوائد مسلم.

محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ) شارح الموطأ.

محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ).

نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) صاحب كتاب مجمع الزوائد.

ابن المنير (ت ٦٨٣ هـ).

ابن القطان الفاسي (ت ٦٢٨ هـ).

زين الدين العراقي (ت ٨٠٦ هـ).

ولى الدين العراقي (ت ٨٢٦ هـ).

بدر الدين بن جماعه (ت ٧٣٣ هـ).

بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ).

صلاح الدين العلائي (ت ٧٦١ هـ).

أبو بكر بن فورك (ت ٤٠٦ هـ).

ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ).

ابن علان (ت ١٠٥٧ هـ).

ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ).

جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) صاحب كتاب نصب الراية.

جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

شمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢ هـ).

الملا على القاري (ت ١٠١٤ هـ).

البيقوني (ت نحو ١٠٨٠ هـ).

زكى الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ) صاحب الترغيب والترهيب، ومختصر صحيح مسلم، ومختصر سنن ابى داود.

عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤ هـ).

مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ).

وممن ألّف في التاريخ والسِيَر:

أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صاحب دلائل النبوة.

أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ).

القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) صاحب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) صاحب الوفا بأحوال المصطفى، والمنتظم في تاريخ الملوك والامم.

على بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ) صاحب السيرة الحلبية المسماة بإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون.

محب الدين الطبري (ت ٦٩٤ هـ).

ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) صاحب تاريخ دمشق.

الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) صاحب تاريخ بغداد.

ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) صاحب الدرر الكامنة، وأنباء الغمر بأنباء العمر.

أبو القاسم السهيلي (ت ٥٨١ هـ) صاحب الروض الانف.

شهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) صاحب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية.

محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي (ت ٩٤٢ هـ) تلميذ السيوطي، صاحب سبل الهدى والرشاد في سيره خير العباد.

جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) صاحب الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفه الصحابة.

ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) صاحب العبر وديوان المبتدأ والخبر.

أحمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) صاحب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب.

اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) صاحب مرآه الجنان وعبره اليقظان.

صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) صاحب الوافي بالوفيات الذي أختصره في كتابه أعيان العصر.

شمس الدين بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) صاحب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان.

تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) صاحب طبقات الشافعية الكبرى.

ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ) صاحب عيون الانباء في طبقات الاطباء.

شمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) صاحب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

المحبي (ت ١١١١ هـ) صاحب خلاصه الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.

سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) صاحب مرآه الزمان في تاريخ الاعيان.

نجم الدين الغزى (ت ١٠٦١ هـ) صاحب الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة.

تقى الدين الغزى (ت ١٠١٠ هـ) صاحب الطبقات السنية في تراجم الحنفية.

خليل المرادي (ت ٥٩٧ هـ) صاحب سلك الدرر في أعيان القرن الاثنى عشر.

على الباخرزي (ت ٥٩٧ هـ) صاحب كتاب دميه القصر.

ابن شاكر الكتبي (ت ٥٩٧ هـ) صاحب كتاب فوات الوفيات.

وغيرهم كثير في المتقدمين والمتأخرين لا كثّرهم الله، وإنما كانوا في صدر الإسلام قلّة قليلة، فكلما ابتعد الناس عن عصر النبوّة، ازدادوا شيئاً فشيئاً، حتى عظم أمرهم في زمن نظام الملك وزير السلاجقة، لأنه نصرهم وأيدهم، وبنا لهم المدرسة النظامية، والتي أقبل إليها طلّاب العلم من كل حدب وصوب، فانتشر بسبب ذلك هذا المذهب، وانتحله أكثر من انتسب إلى العلم، إما جهلاً وغباوة، أو طمعاً في الدنيا وتزلفاً لمن مكنهم الله منها من هذه الفرقة البائسة.

وما زالوا يعيثون في الأرض فساداً على مرّ الأزمنة والدهور، حتى أغاث الله الناس بإمام الهدى ومصباح الدجى شيخ الإسلام ومفيد الأنام ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله واسكنه فسيح جناته، فكشف الله به زيفهم، وفضح به أمرهم، ودفع به كيدهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وجميع الدول التي نشأت بعد القرن الثالث الهجري بدأ بالدولة البويهية مروراً بالدولة السلجوقية ثم الزنكية ثم الأيوبيّة والموحّديّة، ثم المملوكية ثم العثمانية، كلها على مذهب الجهميّة والملاحدة والصوفية القبورية، ووالله لو تعلمون تاريخ هذه الدول التي يشاع عنها اليوم أنها كانت دول عدل وانصاف ورخاء ونعيم للمسلمين من مصادر التاريخ الإسلامي الأصيلة، لعلمتم كذب من يصفهم بذلك، لما سطرته كتب التاريخ عن هذه الدول من الفساد الديني والأخلاقي، وما فهيا من ظلم وجور لم ينل العرب والمسلمون مثله لا في دولة بني أمية ولا في صدر الدولة العباسية، مع أن هاتين الدولتين مع ما فيها من جور وظلم كانت أرحم بكثير مما أوقعته تلك الدول بالمسلمين من الجور والظلم.

ولا توجد دولة إسلامية بالمعنى الحرفي، سوى دولة بني أمية حاشا أخر خلفائها وهو مروان الجعدي، فإنه كان جهمياً، وصدر الدولة العباسية، إلى زمن أبي جعفر المتوكل على الله، حاشا الأشقياء الثلاثة: المأمون المعتصم والواثق. ثم اخترمت البدعة خلفاء بني العباس، فصاروا جهمية ضلّال، حاشا القادر بالله، فإنه كان مسلماً سُنيّاً.

ثم دولة المرابطين، مع إرجاء شنيع فيها، ثم الدولة الوهابيّة السعودية. أما عداها فلا.

وهذا بسبب انتشار الباطل وظهوره، نسأل الله السلامة والرحمة.